اللغة العربية وتعليمها للدارسين الأجانب، والجهود المبذولة على المستويين الرسمي والشخصي - المعهد الدولي في الجامعة الأردنية أنموذجاَ

د. هاديا عادل خزنه كاتبي
أستاذ مشارك
الجامعة الأردنية

ملخص البحث

يهدف البحث إلى أهمية تعليم اللغة العربية للدارسين الأجانب ونشرها عن طريق الدراسات اللغوية و الوقوف على صورة الواقع الذي يشهده المجتمع العالمي المعاصر، والتعرف على ما في هذه الصورة من ايجابيات وسلبيات في تحديد الاتجاهات السائدة في الواقع العالمي، فتعلم أية لغة ثانية يؤدي إلى انفتاح الدارس على فهم الواقع السياسي والديني والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والحضاري لتلك الأمة. يتناول هذا البحث أيضاَ بعض الجهود المبذولة في تعليم اللغة العربية للدارسين غير العرب على صعيد رسمي وشخصي.

الكلمات الدالة: اللغة العربية، الدارسون الأجانب.

المقدمة:

للغة العربية الدورالكبير في الحفاظ على كيان الأمة العربية، وامتداد حضارتها و ربط شعوبها العربية مع بعضها البعض، فهي المفتاح إلى الثقافة الإسلامية والعربية و ذات طابع لغوي قوي ووعاء ثقافي حضاري وتوحيدي ينبغي على أبناء هذه الأمة المحافظة عليه،" إنا أنزلناه قرأناً عربياً لعلكم تعقلون "(سورة يوسف ،آية 2) ، وقد اعترف بعض اللغويين والمفكرين العرب و غير العرب بعبقرية هذه اللغة و بأهميتها وجمال أصواتها، ويؤكدون دائماً قدرتها على مواكبة التقنيات الحديثة وسائر العلوم و المعارف العالمية .

يقول الفرنسي إرنست رينان:" إن انتشار اللغة العربية يعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر كما يُعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة على غاية من الكمال سلسة غاية السلاسة، غنية أي غنى،وإن اللغة العربية- ولا جدال- قد عمّت أجزاء كبرى من العالم."(زناتي، 2006).

يقول الثعالبي: "إن العربية نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب و العجم،... و أعتقد أن العربية خير اللغات" .(السقا ،1938،) ويقول مصطفى صادق الرافعي: "إن اللغة العربية لغة جديرة بالعناية والقداسة لأنها لغة القرآن الكريم ." (الشكعة ،2010) ويقول الدكتور طه حسين : "إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً ". يقول (كاون ، 1981) :تعلمت اللغة العربية وعلمتها مدة تقارب الخمسين عاماً ، ولا أخجل أن أعترف بأني بعد هذه المدة الطويلة ما زلت أعتبر نفسي مبتدئاً في هذه اللغة السامية

التي تفوق جميع لغات الأرض جمالاً وقوة ودقة والتي ليست ملكاً للعرب فقط بل هي ملك للإسلام أجمع". ويقول أحد أساتذة الأزهر عبد الرحيم السائح:"إن اللغة العربية استطاعت في رحاب عالمية الإسلام أن تتسع لتهبط بأبعد انطلاقات الفكر، وقد زادتها مرونتها القدرة على التفوق (العلمي ،2001).

هدف البحث وأهميته:

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمية اللغة العربية ودراستها والتحدث بها بالنسبة للدارسين الأجانب، ثم يتطرق البحث إلى بعض خصائصها التي تهم الدارس الأجنبي.

أهمية تعليم اللغة العربية للدارسين الأجانب:

إنَ تعلّم أية لغة أجنبية هو من حيث المبدأ شأن يعني الدارس نفسه أكثر مما يعني أيّ طرف آخر،فهو الذي يقرر أن يتعلم تلك اللغة، وهو الذي يقوم بالتعلّم والدراسة، وهو المستفيد من تلك العملية وصاحب المصلحة فيها(عبود،1999)،فاللغة رؤية منهجية متكاملة وخبرة حضارية وتكوين نفسي لأنها تحمل في كيانها تجارب أهلها وفلسفتهم وحكمتهم في الحياة، واللغة بصفة عامة تلعب دورًا هامًا في صياغة عقلية الفرد والمجتمع، وهو ما ذهب إليه إدوارد سابير من أن "اللغة تنظم تجربة المجتمع، وهي التي تصوغ عالمه وواقعه الحقيقي، وأن كل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم" (الحباشنة ،2009) إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ الدارس هو الطرف الوحيد ذو المصلحة، فكم من دارس أجنبي وجد نفسه في موقف صعب أثناء تعلمه اللغة

العربية، لأن أبناء هذه الأمة التي يتعلم لغتها يرفضون التواصل معه باللغة العربية ، وبدلاً من أن يشجَّع الدارس الأجنبي على تعلم اللغة العربية الفصيحة فإنه يحذر من صعوبة نحوها وصرفها وجمود التحدث بها وسهولة التحدث بالعامية العربية أو العامية المحلية مع الإنجليزية أو الفرنسية، فالوعي اللغوي العربي وعي متناقض وناقص، لا يخدم قضية تعليم العربية للناطقين بغيرها وتعلمها، والمدرسون في هذا الميدان هم أكثر الناس معاناة من النتائج السلبية لذلك الوعي الناقص، فهم يواجهون تصرف المواطن العربي العاديّ تجاه الدارس الأجنبي الذي يريد التواصل معه باللغة العربية بالرثاء لحال ذلك الدارس الأجنبي الذي قطع المسافات والفيافي لتعلم اللغة العربية في مهدها والاستغراب والريبة والإستخفاف وقلّ أن يقابلها بالتفهم والتشجيع، وكثيراً ما يتكلم معه بلغة أجنبية يعرفها ويهمل اللغة العربية، وهكذا يجد الدارس الأجنبي الذي يتعلم العربية نفسه في موقف صعب في البيئة العربية التي وفد إليها من أجل الممارسة والتحدث مع أبناء الأمة التي يتعلم لغتها فهم يرفضون التواصل معه بالعربية،و هذا التصرف قد يصيب دارسي اللغة العربية بالإحباط والفشل، وكثيراً ما يدفعهم إلى التخلي عن تعلم هذه اللغة ويجعل اكتسابها لايرقى إلى المستوى المتوقع من تعلمها، فتعلّم أية لغة أجنبية يؤدي بالضرورة إلى انفتاح الدارس على ثقافة الأمة صاحبة تلك اللغة وحضارتها، فاللغة وعاء للثقافة، واكتساب اللغة هو بالضرورة اكتساب للثقافة واستيعاب لها، ومن يستوعب لغة أمّة وثقافتها يصبح قادراً على فهم الواقع الحالي للغة الهدف.

إن الإعلام الثقافي الذي يمارس من خلال تعليم اللغة العربية للأجانب هو من أكثر أشكال الإعلام فاعلية وأعمقها تأثيراً وفائدة لدى الدارسين، ولكن أهمية تعليم العربية للأجانب لا تقتصر على النواحي الإعلامية الخارجية فقط، بل لهذا التعليم أبعاد ثقافية وأدبية وحضارية، فهو يؤهل الدارسين الأجانب لغوياً لأن يطلعوا على الأدب العربي بصورة مباشرة دون حاجة إلى ترجمة، ومن بين هؤلاء الأجانب الذين يكتسبون اللغة العربية يظهر مترجمون أكفاء ينقلون أعمالاً ودراسات وكتباً وقصصاً

أدبية عربية من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية، كأعمال نجيب محفوظ التي نقلت على سبيل المثال إلى اللغة الروسية ونالت إعجاباً وتقديراً من المهتمين الروس باللغة العربية وأعمال كتَابها و أدبائها العرب ، وهناك الكثير من النقَاد والأدباء الأجانب الذين يعرّفون بالأدب العربي ويشرحونه لأبناء جنسهم، فتعليم العربية للدارسين الأجانب مسألة وثيقة الصلة بتلقي الأدب العربي في العالم وبالمكانة الدولية لهذا الأدب، ولذا فإنّ هذه المسألة لا تهمّ الأوساط التربوية والتعليمية والإعلامية وحدها، بل تهمّ دارسي الأدب المقارن و العلاقات الأدبية على حدّ سواء، فتعليم اللغة العربية للأجانب كما يرى (عبود، 1999) نقطة تتقاطع فيها علوم مختلفة.

الإطار النظري :

اللغة العربية لها الدور الرئيس في ترسيخ الهوية الثقافية للأمة العربية وتميزها عن باقي الأمم، وباعتبارها لغة القرآن الكريم فهي تمثل نموذجاً أعلى عند أبناء العربية، وهذا النموذج يعيشه المسلمون كل يوم ويستعملونه في جميع اتصالاتهم وعلاقاتهم و معاملاتهم و مناسباتهم فهو ملهمهم في أمور دينهم و دنياهم، فلقد حمل العرب الدين الإسلامي إلى العالم كله، وحملوا معه لغة القرآن الكريم العربية واستعربت شعوب غرب آسيا وجنوب شرقها وشمال إفريقية بالإسلام،فتركت لغاتها الأولى ولهجاتها وفضلت لغة القرآن الكريم،وهذا هو المكسب الحقيقي للغة العربية فكان الأعاجم كالفرس مثلاَ الذين دخلوا في الدين الإسلامي هم أنفسهم علماء النحو

والصرف والبلاغة والترجمة الذين شاركوا في تفسير قواعد اللغة العربية وآدابها وشرحها للآخرين.

تعتبر اللغة العربية اليوم من أهم مقومات الوحدة بين المجتمعات، فلم تعد لغة خاصة بالعرب وحدهم، فالأمة العربية كانت وما زالت حريصة على تعليم لغتها ونشرها للراغبين فيها على اختلاف أجناسهم وألوانهم، فلقد أصبحت إحدى اللغات العالمية التي يطلبها ملايين المسلمين في العالم اليوم لارتباطها الوثيق بدينهم وثقافاتهم الإسلامية وغيرهم من أصحاب الثقافات والحضارات الأخرى، رغبة في التواصل مع أهل اللغة العربية من جانب والتعرف على التراث العربي والإسلامي من جهة أخرى، فهي من أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال، مع قدرتها في التعبير عن مدارك العلم المختلفة ومواكبة العولمة وما فيها من تقنيات جديدة ، فهي أداة التعارف بين ملايين البشر المنتشرين في بقاع الأرض المختلفة،و هي ثابتة في أصولها وجذورها متجددة بفضل ميزاتها وخصائصها، فالجانب اللغوي أهم جانب من جوانب حياتنا، واللغة مقوم أساسي من مقومات حياتنا وكياننا، وهي الأداة التي سجلت منذ أمد بعيد أفكار الأمة العربية وأحاسيسها، وتظهر أهميتها في أنها تتيح لدارسيها الإطلاع على كم حضاري فكري هائل، فهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، و هي الحلقة الأكبر التي تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل، فقد تربعت على عرش الدنيا عدة قرون، وخلفت إرثا حضاريا ضخما في مختلف الفنون وشتى العلوم، وتنبع أهمية اللغة العربية في أنها من أقوى الروابط والصلات بين المسلمين أنفسهم، فالعربية لغة تحمل رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى، كان العرب نواتها الأساسية و اعتبروها جميعاً لغة حضارتهم وثقافتهم فاستطاعت أن تكون لغة

العلم والأدب والسياسة والتجارة والإقتصاد والتشريع والفلسفة والمنطق والفن على فترات مختلفة.

أهم خصائص اللغة العربية:

اعترف بعظَمة هذه اللغة العرب والمستشرقون ودارسوها من أمم شتى و سأكتفي هنا بالإشارة إلى بعض خصائصها التي تهم الدارسين الأجانب.

1.الخصائص الصوتيـة:

إن اللغة العربية تملك أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، حيث تتوزع مخارج الحروف بين الشفتين إلى أقصى الحلق وتتوزع هذه المخارج في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات ومراعاة الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي، فمثلاً: لا تجتمع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال. ولا تجتمع الجيم مع القاف والظاء والطاء والغين والصاد، ولا الحاء مع الهاء، ولا الهاء قبل العين، ولا الخاء قبل الهاء ، ولا النون قبل الراء ، ولا اللام قبل الشين.

يرى اللغويون التطبيقيون أن وقوع الدارس الأجنبي في الأخطاء يعود إلى اختلاف أنظمة لغته الأم عن أنظمة اللغة الهدف وأن المشكلات الصوتية التي تواجه الدارس الأجنبي تعود إلى اختلاف اللغتين في مخارج الأصوات وفي التجمعات الصوتية وفي العادات النطقية واختلاف اللغتين في مواضع النبر والتنغيم والإيقاع (عبابنة ،1984)، وأصوات العربية ثابتة على مدى العصور والأجيال منذ أربعة عشر قرناً، وهذا الثبات يعود إلى أمرين : القرآن الكريم أولاً، ونزعة المحافظة عند العرب

ثانياَ، وهناك بعض المشاكل الصوتية التي تواجه الدارس الأجنبي عند تعلمه اللغة العربية وتؤدي به إلى الوقوع في أخطاء صرفية كعدم التطابق التام بين نطق بعض الكلمات العربية وكتابتها فبعض الحروف تكتب ولاتنطق والمثال على ذلك الألف بعد واو الجماعة : درسوا، واللام الشمسية: الصيف ،وهناك بعض الحروف تنطق ولاتكتب والمثال على ذلك هذا ويكتبها الدارس الأجنبي هاذا(العصيلي ،2003)

2.الاشتـقـاق:

اللغة العربية لغة اشتقاقية، تقوم مفرداتها أساساَ على الحروف الأصلية الثلاثة ، وتشترك الألفاظ المنتسبة إلى أصل واحد في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام ،جمع - جامع - مجموع - مجتمع – جامعة... فتشترك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها ، فخاصة الروابط الاشتقاقية في اللغة العربية تهدينا إلى معرفة كثير من مفاهيم العرب ونظراتهم إلى الوجود وعاداتهم القديمة،وهذا ما يؤكد أن على دارس لغة ما عليه أن يتعرف على ثقافة هذه اللغة وحضارتها و التي توحي بفكرة الجماعة وتعاونها وتضامنها في النفوس عن طريق اللغة. يرى(سعد ،1981) أن اللغة العربية غنية جداَ من حيث الاشتقاق الصرفي ويجب الاعتماد على هذه الظاهرة اعتماداَ كبيراَ في وضع معجم انكليزي- عربي لخدمة دارسي اللغة العربية في المراحل المتقدمة والمتوسطة، والاشتقاق باب واسع تستطيع اللغة العربية أن تؤدي معاني الحضارة الحديثة على اختلافها،والاشتقاق في العربية كما يرى (قدور، 2002)يقوم بدور لايستهان به في تنويع المعنى الأصلي وتلوينه، إذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة، وتعدية، ومطاوعة، ومشاركة، ومبادلة، ولانزاع في أن منهج اللغة العربية الفريد في الاشتقاق، قد زودها بذخيرة من المعاني لايسهل أداؤها في اللغات

الأخرى.

3.الاعراب:

هو الكلام، وفق قواعد النحو من أجل بيان الكلام ووضوحه (ملا ،1987)، فالإعراب سمة من سمات اللغة العربية ولايعني تغيير مواقع أواخر الكلمات فقط بل يتعدى معرفة بعض الكلمات إذا كانت مبنية فتلزم حالة واحدة غير أن هذه الحالة قد تكون مرة مبنية على الفتح ومرة على الكسر ومرة على السكون، فإذا أراد الدارس الأجنبي معرفة الإعراب والموقع الإعرابي لكلمة ما في الجملة عليه أن يعرف معنى الكلمة أولاَ، وعليه أن يلم بوجوه الإعراب الأساسية كالأسماء المرفوعة والمنصوبة والمجرورة والأفعال والمبنيات.

إن الهدف الأول من تعليم قواعد اللغة العربية للدارس الأجنبي لتعزيز لغته وحفظ القول والكتابة البعيدة عن اللحن والخطأ، ففهم القواعد هي الوسيلة الأولى لصحة أسلوب الدارس مع التأكيد على تدريس الطلبة الأجانب النحو الوظيفي.

4, القياس:

وهو عبارة عن القواعد التي تشكل بها ألفاظ اللغة العربية نطقاً وكتابة، وهذه القواعد التي يسميها علماء اللغة "الأوزان" فهي عبارة عن قوالب تصاغ فيها وعلى هيئتها وقياسها المادة اللغوية، وهذه القوالب هي نفسها مصنوعة من ثلاثة حروف (ف.ع.ل) يضاف إليها في بعض الأوزان حرف من حروف العلة الثلاثة (أ.و.ي) وفي بعضها الآخر حروف صحيحة مثل (س.ت.ن). وقد سمي القياس قياساً لأنه يقيس

الكلمات على هذه الأوزان، فلا تخرج كلمة عربية أصلية عن وزن معلوم بها،وهنا تحدث أحد طلبتي الأسبان عن كيفية دراسته وفهمه للغة العربية فقال : كطالب أجنبي يجب عليّ منذ البداية أن أعرف بعض الأوزان الهامة كي أستخدمها وهذا سيساعدني كثيرا في التحدث والكتابة وأعطى مثالاَ على ذلك ،فعل،فعّل،فاعل، أفعل،تفعّل،انفعل،افتعل،افعلّ،استفعل.

5 . الإيجاز والدقة:

اشتهر العرب بالاقتصاد في كلامهم، فكانوا يعبرون بالحرف الواحد عن الكلمة إن أفاد معناها، وبالكلمة الواحدة عن الجملة، وبالجملة الواحدة عن عدة جمل، فهم القائلون:"خير الكلام ماقل ودل"،والإيجاز المقصود به ليس ما ينشأ عنه الخلل في الفهم، لكنه ما يستغني عن زوائد الكلام، ويحتفظ بالمعنى المراد، ففي اللغة العربية قد نحذف بعض الحروف إن لم نكن بحاجة إليها،أو ندعمها ببعضها البعض من ذلك مثلا (مم) وأصلها (من ما) وهذا قد يربك الدارس الأجنبي إذا لم يوجَه إليه من قبل مدرسه.

6. النحت:

جاء في معجم الوسيط أن :"نحت الكلمة أخذها وتركيبها من كلمتين أو كلمات، يقال "البسملة" بمعنى: باسم الله الرحمن الرحيم.(تمام ،حسان،1994).

برامج تعليم اللغة العربية :

إن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يعد مجالا خصبا واسعاَ لكثرة الدارسين التواقين لتعلم هذه اللغة ،فقد بدأت معاهد تعليم اللغة العربية بالظهور في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد واجهت هذه المعاهد مشاكل كثيرة، وبرزت أمام تعليم اللغة العربية عدة تحديات، أولها ضعف المستوى التعليمي العام مع أن الإقبال على تعلم العربية في ازدياد، ويعود السبب في ذلك لقلة المؤهلين للتدريس تأهيلا مناسباَ وهذا يؤدي إلى ضعف في التحصيل العام، وثانيها تشتت جهود كثيرة من القائمين على تعليم اللغة العربية وغياب التعاون على مستوى المناهج وانعدام التنسيق وتبادل الخبرات في إطار عمل مؤسساتي رغم محاولات جادة وإيجابية تظهر أحيانا في بعض المشاريع، ومن الدول العربية التي لها حضور ملحوظ في مضمار تعليم اللغة العربية للأجانب الجمهورية التونسية "معهد الحبيب بورقيبة" و معهد الخرطوم الدولي للغة العربية فقد أنشئ معهد اللغة العربية بجامعة الرياض ثم انشئت معاهد أخرى في تعليم اللغة العربية لغير العرب بجامعات المملكة العربية السعودية و جامعة المستنصرية ببغداد و في جمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية إضافة إلى وجود معاهد كانت تقوم بتعليم اللغة العربية لأغراض خاصة كمعهد شملان في بيروت (مدكور،1985) ومن هنا تشرفت اللغة العربية للجميع بأن تكون لبنة في هذا الجهد المبذول لخدمة هذه اللغة ، ومهما قدمت الجامعات في الدول العربية والمنظمات الرسمية من جهد يظل بحاجة إلى المزيد وقد نجحت بعض المعاهد والمراكز بحل المشكلة إلى حد ما في بعض البلدان العربية، لكن تعليم العربية خارج

الوَطن العربي ما زال يواجه المشكلة نفسها، وقد استمر الوضع هكذا حتى بدأت معاهد جديدة تُفتح في أواسط سبعينيات القرن الماضي لحل هذه المُشكلة.

لقد وعت بعض الدول العربية عامة والمملكة الأردنية الهاشمية خاصة ممثلة بجامعتها الأولى "الجامعة الأردنية" إلى أهمية تعليم اللغة العربية للأجانب، فقد طوّرت مراكزها ومعاهدها التعليمية التي أنشأت في منتصف القرن الماضي وعملت على تحديث طرق التدريس فيها وأعدت مناهج ومواد تعليمية تربوية خاصة بطلبتها واستعملت في تدريسها أحدث التقنيات حرصاَ منها على تعليم لغتها للأجانب لأنه أساس نشاطها التعليمي و الثقافي، إضافة إلى تأهيل الكادر التعليمي عندها وتشجيع البحث العلمي فعملت دورات خاصة بهم و نشاطات تعليمية تساعد المدرسين لتعليم اللغة العربية كلغة أجنبية للطلاب الأجانب الذين يدرسون فيها دراسة فصلية منتظمة في صفوف متتابعة، إضافة إلى فصل صيفي لقاء رسوم قد تكون رمزية، وأنشئت أيضاَ دورات خاصة مفصلة حسب طلب الدارسين وتخصصاتهم وأهدافهم من دراستهم للغة العربية ترمي إلى إكسابهم هذه اللغة وتعريفهم على البلاد العربية وحضاراتها وعاداتها وتقاليدها التي قد تساعدهم في سرعة تعلم اللغة العربية في وقت واحد ، وقد أنشأت الجامعة الأردنية مركز اللغات في سبعينيات القرن الماضي والذي تحول مؤخراَ إلى معهد دولي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ولايزال يعمل كما كان سابقاَ ويستقبل الدارسين بأعداد كبيرة، وقد أنشئ فيه قسم خاص يدرس فيه الطالب العربي أو الأجنبي بعد الانتهاء من دراسته الجامعية الأولى دراسة جامعية منتظمة تستمّرسنتين أو أكثر، تنتهي بحصوله على شهادة الماجستير في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتؤهله هذه الدراسة لأن يكون مدرّساً للغة العربية كلغة أجنبية أو ثانية أو باحثاً في هذا المجال.

نتيجة لذلك كما يرى (عبود ،1999) انتشرتعليم اللغة العربية للأجانب انتشاراَ كبيراً في الوطن العربي، وتحوّل إلى قطاع ناجح يوفر فرص العمل لعدد كبير من

أفراد المجتمع، ورافق ذلك عملية ازدهار كبيرة لحركة تأليف الكتب و نشرها ووضع المناهج التعليمية المتعلقة بهذا المجال، فأخذت دور النشر تتنافس على إصدار الكتب التعليمية والمواد الصوتية والبصرية والحاسوبية التابعة لها، وصدر العديد من الدوريات ذات الإختصاص والكتب التعليمية بحيث بات من الصعب على المرء أن يتابع كلّ ما ينتشر من أبحاث ومقالات، وتأسست روابط وجمعيات اختصاصية للأساتذة والباحثين والعاملين الذين يعملون في حقل تعليم اللغة العربية للأجانب لذلك كله شهدت طرائق تدريس اللغة الهدف للأجانب والكتب والموادّ والتقنيات التعليمية المتعلقة به قفزات كبيرة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، بحيث يمكن القول إنّ ثورة حقيقية قد تمت في هذا المجال، ثورة وُظّفت فيها العلوم الإنسانية المختلفة، وفي مقدمتها علم النفس وعلم اللغة الحديث وعلم الاجتماع،ونتيجة لذلك ظهر علم اللغة التطبيقي وعلم النفس المعرفي وظهرت النظريات المختلفة في اكتساب اللغة الثانية (حتاملة ،2006) واستخدمت أحدث التقنيات كالفيديو والحاسوب والبث التلفزيوني ومن الطبيعي أن تجني المجتمعات التي تطور تعليم لغاتها للأجانب الثمرات الثقافية والإعلامية لذلك التعليم.

أسس تعليم اللغة العربية كلغة ثانية:

بداية يجب التركيز على أوجه الشبه والاختلاف بين لغة الدارس " لغة الأم" واللغة العربية باعتبارها "اللغة الثانية" خصوصاً بالنسبة للنظم الصوتية والنحوية والثقافية، ويفضل عقد مقارنات بين تلك النظم لتوعية الدارس بالفوارق بينها، إضافة إلى معرفة التطور الذي حدث ويحدث على أساليب تعليم اللغة الثانية وتعلمها، كالأساليب الشفهية اللسانية والأساليب التواصلية وأساليب الاستجابة الكلية والتقنية وكيفية استخدام الحاسوب في تعلم اللغة الثانية وتعليمها.

الأساس الأول : تعلم اللغة بضبط قواعدها وأبنيتها المتنوعة.

يجب على الدارس بداية التعرف على قواعد اللغة العربية نحوا وصرفا وإملاء من خلال منهاج وضع خصيصاَ للدارس الأجنبي، فهذا المنهاج يجعل الدارس قادرا على استعمالها في وضعيات تطبيقية وأخرى تعبيرية محددة، وإلى جانب اكتساب القواعد الأصلية، يضاف إليها جانب آخر لا يقل أهمية عن الجانب الأول وهو حاضر في منهاج اللغة العربية ألا وهو تنمية قدرات الدارس كالفهم والنقد والقراءة الصحيحة، وتشكل النصوص القرائية على اختلافها دعماَ هاماَ، فمن خلالها يتم تعامل الدارس مع عدة نصوص قرائية،تكون لديه رصيدا لغويا معجميا وفكريا ونقديا من جهة وتزرع فيه حب القراءة والمطالعة الهادفة، فتزيد من تطوير مهارات التفكير وقدرات التعبير، وهي جوانب تقوي شخصية الدارس وتجعله ينفتح على خطابات وإنتاجات متنوعة ومختلفة.

الأساس الثاني:التواصل باللغة العربية.

يمكن اعتبار هذا الجانب جانبا استثماريا في تعلم اللغة العربية، بحيث يستحيل تعلمها وعدم توظيفها،فآلية التواصل بواسطة اللغة العربية هدف بعيد ومخرج أساسي من مخرجاتها، فالتواصل يعني القدرة على استعمال المكتسبات وترسيخها من خلال وضعيات حوارية أو كتابية، فالدارس عندما يتواصل باللغة العربية فهو يستنفر أرصدته الفكرية والآلية والمعجمية وبالتالي يسعى إلى تحقيق سلامة تعبيره وتهديفه كذلك.

الملاحظ على مستوى هذا الجانب، أنه غير حاضر في منهاج اللغة العربية ، فهو باهت جداوهزيل وقليل في حين هناك حضور قوي للجانب الكتابي على حساب التواصل الشفهي، فالدارس الأجنبي اليوم، غير قادر على التواصل مع الآخر بلغة سليمة ومعبرة، فتجده متلعثما، أو عاجزا عن الكلام وأمام هذه المشكلة، فلابد من وضع برنامج داعم للتواصل الشفهي، كالمسرح والتمثيليات والموائد المستديرة والحوار حتى

تسمح للدارس من تعلم اللغة وإكتسابها وتبادل التجارب التعبيرية مع أصدقائه، وهذا من شأنه أن يؤثرا إيجابياَ على شخصيته فيكون قادرا على مواجهة الآخر والتحاور معه بلغة سلسة وسليمة، كما أنه يكتسب بالفعل آدابا مهمة كأدب الحوار والمناقشة.

الخاتمة:

إن اللغة العربية من أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها الفريدة من نحو وصرف وأدب وألفاظ وتراكيب، فهي أداة إتصال ونقطة التقاء بين العرب وشعوب كثيرة في هذا العالم، فأهمية تعلم اللغة العربية بالنسبة للدارس العربي تكمن في أنها لغة آبائه

وأجداده وتراثه وحضارته و منها استمد قوميته العربية، أما بالنسبة للدارس المسلم فهي لغة دينه وعقيدته و كلاهما ينظر إليها بشيء من المحبة و الاحترام ،لأنها حفظت تاريخاَ مجيداً و كتبت حضارة تلك الأمة العربية و الإسلامية. و من هنا جاءت أهميتها بالنسبة لتدوين التراث القديم المتمثل في أمَات الكتب، أما اللغة العربية بالنسبة للدارس الأجنبي غير المسلم فهي لغة عقيدة ثابتة و حضارة ذات أبعاد خاصة وثقافة عالية .

فتعلّم أية لغة ثانية يؤدي بالضرورة إلى انفتاح الدارس على ثقافة الأمة صاحبة تلك اللغة وحضارتها، فاللغة وعاء للثقافة، واكتساب اللغة هو بالضرورة اكتساب للثقافة واستيعاب لها، ومن يستوعب لغة أمّة وثقافتها يصبح قادراً على فهم واقعها السياسي والإجتماعي والحضاري فالجانب اللغوي أهم جانب من جوانب حياتنا، واللغة مقوم أساسي من مقومات حياتنا وكياننا، وهي الأداة التي سجلت منذ أمد بعيد أفكار الأمة العربية وأحاسيسها، وتظهر أهميتها في أنها تتيح لدارسيها الإطلاع على كم حضاري فكري هائل، فهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها.

المصادروالمراجع:

1. أبو منصور الثعالبي ،فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين(1938) ،جامعة القاهرة ،مطبعة مصطفى الحلبي ،ص192 وما بعدها .

2. الحباشة، صابر،(2009) من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، صفحات للدراسات والنشر.

انظر فيه عن :

إدوارد سابير 1884 -1939م. عالم أمريكي متخصص في علم الأنثروبولوجيا وعلم اللغة بحث في العلاقة بين اللغة والثقافة والشخصية وساعد في تأسيس فرعين جديدين للبحث في علم الإنسان هما: علم الإنسان اللغوي، وعلم الإنسان النفسي.

3. حتاملة ،موسى رشيد،(2006) نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية، كلية الدراسات العربية والإسلامية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني،الأردن ،العدد7

4. حسان، **تمام**، (1994) اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء،ص172

5. زناتي، أنور محمود،(2006) زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية.
راجع فيه عن:
إرنست رينان Ernest Renan مؤرخ وفيلسوف ومستشرق فرنسي، تعمق في معرفة اللغات، وخاصة اللغات السامية، حتى صار من ثقاتها.

6. سعد، جورج نعمة،(1981) صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية ، الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،مكتب تنسيق التعريب ،الرباط .

7. الشكعة، مصطفى، (2010)، الرافعي واعجاز القرآن الكريم، الطبعة الثانية، الصادر عن مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة .

8. عبابنة ،جعفر(1984) مقالة بعنوان الصرف والأصوات، مجلة أفكار ،العدد 70 ،عمان ،ص42

9. عبود،عبده ،(1999) الأدب المقارن،مشكلات وآفاق ،دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب.

10. العصيلي،عبد العزيز، (2003)أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة،ص217

11. العلمي، ادريس ،(2001) في اللغة العربية، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاءص15

12. قدور، نجاح (2002)، أية رهانات للثقافة العربية في ظل العولمة ، مجلة المؤتمر، العدد (1) طرابلس،ص59 -

13.قدور، نجاح، لغتنا الجميلة في زمن العولمة شبكة منتديات طنجة .
www.Tinjah.com

14. كاون، داود،(1981) صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية ، الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،مكتب تنسيق التعريب ،الرباط .

15. مدكور، علي أحمد(1985) تقويم برامج إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها.الرباط، منشورات الإيسكو.

16. ملا ، عبد الوهاب(1987) الإعراب ونظرية العامل والمعمول ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد4 ، ص277

ومن المسائل المركزية لتعليم العربية للأجانب(وتعليم اللغات الأجنبية بصفة عامّة) مسألة الكتب التعليمية، فهي الترجمة العملية للأهداف التعليمية، وفيها تتجلى التوجهات البيداغوجية لواضعيها. ومن الملاحظ أنّ تراكماً كمياً لا يستهان به قد تمّ على هذا الصعيد خلال العقدين الأخيرين. فقد صدر عدد كبير نسبياً من الكتب التعليمية لمختلف المستويات، أبرزها"الكتاب الأساسي في تعليم العربية لغير الناطقين بها"بأجزائه الثلاثة. ولكن رغم التقدم النسبي الذي تمّ، فإنّ كتب تعليم العربية للأجانب مازالت بعيدة عن مواكبة المستويات التي بلغتها الكتب التعليمية التي تدرّس بها لغات حديثة كالإنكليزية والفرنسية والألمانية، بل إنّ بعض كتب تعليم العربية للأجانب لا يستند البتة إلى أسس تعليم اللغات الأجنبية، وهو وليد جهود فردية موسمية، صدرت عن أشخاص لا يربطهم رابط بتعليم اللغات الأجنبية، ناهيك عن أنهم لم يستوعبوا الأسس العلمية التي يرتكز إليها ذلك التعليم، كاللسانيات التطبيقية ونظريات اكتساب اللغة الأجنبية، وعلوم التربية والسيكولوجيا، والاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغات الأجنبية وعلى رأسها الاتجاه التواصلي(**14**) . ولئن كان البعض الآخر من مؤلفي كتب تعليم العربية للأجانب يمتلك شيئاً من الخبرة العملية في التدريس، فمن المؤكد أنه غير مؤهل علمياً لوضع كتب تعليمية متطوّرة.

ومن الملاحظ أيضاً أنّ التراكم الذي تمّ على صعيد تأليف الكتب التعليمية ونشرها لم يواكبه تراكم موازٍ أو مناسب على صعيد المواد التعليمية السمعية والبصرية والحاسوبية. وخير دليل على ذلك هو"الكتاب الأساسي"، الذي بُذل جهد كبير في تأليفه، ولكن إلى اليوم لم تنتج مادّة صوتية مسجّلة إلاّ للجزء الأول منه. أمّا الكتب التعليمية الأخرى فقلّ أن توضع لها مواد صوتية وبصرية من شفافيات وسلايدات وما شابه ذلك، ناهيك عن المواد السمعية البصرية، كأفلام الفيديو والسينما التعليمية والأقراص الكمبيوترية، فليس لها دور مناسب في تعليم العربية للأجانب. وقد أدّى

ذلك إلى جعل هذا التعليم يُكسب المتعلمين كفاءة لغوية على صعيد القواعد والقراءة والكتابة، ولكنه لا ينمي لديهم مهارات لغوية رئيسة كفهم المسموع والتعبير الشفهي. أمّا القدرة على المحادثة فهي عقبة كأداء تعترض طريق تعليم العربية للأجانب، وهي معضلة لم يتوصل أحد بعد إلى حلّ مناسب لها. وأساس هذه المشكلة هو انقسام العربية المعاصرة إلى فصحى تُستخدم بالدرجة الأولى في الكتابة ولا تستخدم في التواصل اليوميّ، وإلى عدد هائل من العاميات القطرية والمحلية التي تستخدم في الحياة اليومية ولكنها لا تكتب.

4- 6- دعم الجهات الأجنبية التي تعلم العربية:

من المعروف أن هناك جهات ومؤسسات أجنبية كثيرة تقوم بتعليم اللغة العربية، نذكر منها معاهد الاستشراق والدراسات الإسلامية والشرق أوسطية ومراكز اللغات في الجامعات الأوروبية والغربية، والمدارس والجامعات في عدد كبير من أقطار العالم الإسلاميّ، حيث تدرّس العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية. وهناك مؤشرات كثيرة تدلّ على أنّ الطلب على تعليم اللغة العربية قد تنامى خلال الأعوام القليلة الأخيرة بصورة ملحوظة، إن في العالم الإسلامي، ولا سيما في الدول الإسلامية الآسيوية التي استقلت حديثاً عن روسيا، أو في المجتمعات الأوروبية والغربية، أو في العالم بصورة عامّة. وقد ازداد بشكل ملحوظ أيضاً عدد الأجانب الذين يقصدون الأقطار العربية لتعلم اللغة العربية والتعرّف إلى المجتمع والثقافة العربيين. وهذا تطوّر يبشّر بمستقبل جيد للغة العربية ومكانتها العالمية. وتقتضي المصلحة الثقافية العربية منا أن ندعم المؤسسات التعليمية الأجنبية التي تعلّم العربية، غربية كانت تلك المؤسسات أم إسلامية، رسمية أم خاصة، في مجالات إعداد المدّرسين والكتب والمواد التعليمية والإشراف التربويّ والكادر التدريسي.ولكنّ الدول العربية لا تقدّم للجهات الأجنبية التي تعلّم العربية مساعدة تستحق الذكر، وتقتصر تلك المساعدة على المساهمة في إعداد المدرّسين وعلى تقديم بعض المنح للدراسة في معاهد تعليم العربية للأجانب. وقد أدّى التقصير في هذا المجال إلى تخلف تعليم العربية في الخارج عن تعليم اللغات الأجنبية الحيّة الأخرى كالإنكليزية

والفرنسية والألمانية، وإلى انتكاسات كبيرة طالت تعليم العربية بأكمله، مثلما حدث في باكستان، تلك الدولة الإسلامية التي فرضت فيها الحكومة تدريس العربية في المدارس، ولكنّ الدول العربية لم تدعم تلك الخطوة مما أدى إلى إخفاقها. إنّ دعم تعليم العربية في الخارج هو مسؤولية ثقافية قومية عربية، تقع على عاتق وزارات التربية والتعليم العالي والثقافة والخارجية والشؤون الإسلامية وجامعة الدول العربية، وهذه الجهات كلها لا يمكن أن تعفى من مسؤولية التقصير الكبير الحاصل في مجال رعاية تعليم العربية في الخارج. لا نقول هذا رغبة في التشهير بأحد، وإنما تحديداً للجهات المسؤولة عن تقصير كبير بحقّ لغتنا ومستقبلها، وبحقّ المصلحة الثقافية العربية العليا. إنه لأمر يدعو للأسى أن تتمتع اللغة العربية بفرصة جيدة لأن تكون إحدى اللغات الحية الرئيسة في عالم اليوم، ولكن تلك الفرصة تضيع نتيجة التقاعس العربي.

4- 7- دور الجاليات العربية:

من المعروف أن في الأقطار الأجنبية ولا سيما الغربية منها، جاليات عربية يعدّ أفرادها بالملايين، ويمكن أن يكون لتلك الجاليات دور كبير في تعليم العربية ونشرها في العالم. ولهذه المسألة شقان، أولهما تعليم العربية لأبناء الجاليات العربية بغية ربطهم لغوياً وثقافياً بوطنهم الأمّ، ومنع انسلاخهم قومياً والذوبان في المجتمعات الأجنبية التي يعيشون فيها. أمّا الشقّ الثاني فهو الاستفادة من تلك الجاليات في تعليم العربية وتعزيز مكانتها في بلدان المهجر. ومع أن تحقيق هذين الهدفين أمر ممكن، فإنّ الدول العربية لم تحقق إنجازات كبيرة على هذا الصعيد، ولم تتمكن من توظيف الجاليات العربية الكثيرة العدد العالية التأهيل لخدمة هدف ثقافيّ قوميّ كتعليم العربية للناطقين بغيرها، وجلّ ما تمّ في هذا المجال هو إقامة عدد قليل مما يعرف بـ"المدارس العربية" في الخارج، وهي مدارس ذات انتماء قطريّ، ويكاد الانتساب إليها يقتصر على أبناء الدبلوماسيين العرب. وفي كلّ الأحوال فإنّ هذه الخطوة، على أهميتها وإيجابيتها، هي أقلّ بكثير مما هو مطلوب على صعيد التعامل اللغوي والثقافي في الجاليات العربية. فالمطلوب هو وضع برامج لغوية وثقافية مناسبة،

تربط تلك الجاليات بلغتها وثقافتها الأصليتين، وتؤهلها لأن تقوم بدور ناقل للغة والثقافة العربيتين إلى العالم، وهذا هدف مازال بعيد المنال.

من الملاحظ أن المعاهد والمدارس الخاصة العربية غائبة عن تعليم العربية للأجانب غياباً يكاد يكون كاملاً، وأن ذلك التعليم مقتصر بصورة شبه كاملة على المعاهد والمراكز الحكومية التابعة للجامعات ووزارات التربية العربية. وهذه ظاهرة يمكن ردّها إلى سببين: الأول هو اعتقاد القائمين على المعاهد والمدارس الخاصّة بأنّ تعليم العربية للأجانب لايعود عليهم بربح مجزٍ. أمّا السبب الثاني فيتمثل في انعدام التشجيع وكثرة المعيقات والعراقيل البيروقراطية التي تضعها الجهات الحكومية في بعض الأقطار العربية بغرض إبعاد المدارس الخاصّة عن ممارسة تعليم العربية للأجانب، وذلك لاعتبارات أمنية أو اقتصادية أو إيديولوجية. ولكن مهما تكن الأسباب فإنّ تعطيل دور التعليم الخاصّ في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها هو أمر له عواقب وخيمة على ذلك التعليم. أليس من المستغرب أن يُسمح لمؤسسات تعليمية أجنبية، كالجامعة الأمريكية في القاهرة والمراكز الثقافية الأجنبية في بعض العواصم العربية، بأن تمارس تعليم العربية للناطقين بغيرها، وألاّ يُسمح للقطاع الخاصّ التعليميّ العربي بممارسة ذلك التعليم، أولا يشجع على ذلك؟ إنّ تجارب تعليم اللغات الأجنبية في العالم تدلّ بكلّ وضوح على أنّ المعاهد والمدارس الخاصة ليست أقلّ نجاحاً في هذا المجال من المؤسسات التعليمية الحكومية، وهي أكثر قدرة من الأخيرة على التجاوب مع رغبات المتعلمين وظروفهم، وذلك نتيجة المرونة التي تتمتع بها بسبب تحررها من القيود البيروقراطية من جهة، ولأنّ المنافسة تفرض عليها أن تطوّر نفسها بصورة مستمرّة كي تصمد في تلك المنافسة.

4- 9- استيعاب التجارب الأجنبية المتقّدمة:

وثمة أخيراً مسألة على درجة كبيرة من الأهمية، ألا وهي استيعاب الخبرات والتجارب الأجنبية المتقدّمة في حقل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بغية الاستفادة منها في تطوير تعليم العربية للأجانب. فهناك أمم سبقت العرب في هذا المضمار وراكمت خبرات قيّمة يجدر بهم أن يدرسوها ويقيّموها، لا بهدف تقليدها بكلّ حذافيرها، بل بغرض الأخذ بما هو مفيد منها في تعليم العربية، كأصول التدريس وطرائقه وأنماط التمارين والتقنيات التعليمية والتنظيم وغير ذلك.ومما) بين تعليم اللغات الأجنبية في العالم وبين تعليم **Methodentransfer**لاشكّ فيه أنّ نوعاً من انتقال الطرائق(العربية للناطقين بغيرها يتمّ فعلاً، ولكنه يتمّ ببطء وبصورة تفتقر إلى المنهجية والشمول. ولو كان هناك بالفعل استيعاب جدّي للخبرات الأجنبية المتطوّرة في حقل تعليم اللغة القومية كلغة أجنبية لقدّم ذلك دفعاً تطويرياً هائلاً لتعليم العربية للأجانب، ولأدّى إلى الارتقاء بذلك التعليم إلى المستوى الذي بلغه تعليم اللغات الأجنبية في الأقطار العربية المتقدمة.وبالطبع فإنّ تلك المهمة ليست سهلة ولا مؤقتة، بل هي مهمة شاملة تتطلب رصداً منظماً ومنهجياً لما يستجدّ في مضمار تعليم اللغات الأجنبية في العالم من تطوّرات. وهذه المهمة مناطة بالجامعات العربية ووزارات التربية وغير ذلك من جهات مسؤولة عن التربية والتعليم والبحث العلميّ في الوطن العربيّ.

5- وماذا عن الحلول؟

تلك هي في رأينا أهمّ المشكلات الراهنة لتعليم العربية للأجانب، فما هي الحلول؟ لقد انطوى عرضنا للمشكلات على الحلول بشكل أو بآخر. ومع ذلك لابأس من بلورة ما هو مطلوب وضروري للنهوض بتعليم العربية للأجانب، لتتعزز مكانتها الدولية والإقليمية في المستقبل. وتتلخص تلك المترتبات في:

1- أن يعي الرأي العامّ العربيّ، رسمياً كان أم شعبياً، ما لتعليم العربية للأجانب من أهمية إعلامية وثقافية واقتصادية وسياسية، فتعليم العربية للأجانب يجب أن يكون حجز الزاوية في النشاط الثقافي العربي في الخارج.

2- أن ترصد الحكومات العربية وجامعة الدول العربية ميزانيات مناسبة لدعم تعليم العربية للأجانب، فللمحافظة على المكانة العالمية للغة العربية تكاليفه من جهد ومال.

3- أن تتعاون المؤسسات التعليمية العربية العاملة في مضمار تعليم العربية للأجانب فيما بينها، فتتبادل المعلومات والخبرات وتنسّق الجهود.

4- تطوير تدريس العربية كلغة أجنبية من حيث طرائقه ومواده التعليمية ووسائله وتقنياته، ليرقى إلى مصاف تدريس اللغات الأجنبية في الأقطار المتقدمة، وهذا يتطلب إعداد مدرسّي العربية للأجانب إعداداً تربوياً وعلمياً يختلف جذرياً عن إعداد مدرسي العربية للناطقين بها.

5- دعم الجهات الأجنبية التي تعلّم العربية، وذلك بمساعدتها في إعداد المدرسين، ومدّها بالمواد والوسائل التعليمية والخبرات التربوية.

6- تكثيف البحث العلمي في ميدان تعليم العربية للناطقين بغيرها، وذلك بإحداث أقسام خاصّة به في الجامعات العربية، وتشجيع كتابة رسائل الماجستير والدكتوراه فيه، وإقامة الندوات والمؤتمرات العلمية حول قضاياه.

7- تشجيع القطاع الخاصّ التعليمي العربي على الاضطلاع بدور أكبر في تعليم العربية للأجانب، وذلك بإزالة المعيقات الإدارية التي تمنعه من ذلك وتقديم الحوافز المادية له.

8- استيعاب التجارب والخبرات الأجنبية المتطورّة في مضمار تعليم اللغات الأجنبية بصورة منظمة وسريعة، والاستفادة منها في تطوير تعليم العربية للأجانب.

9- تأسيس جمعية علمية عربية متخصصة في تعليم العربية كلغة أجنبية، توجّه ذلك التعليم وتشرف عليه وترسم استراتيجيته وتحقق تبادل المعلومات والخبرات بين العاملين والباحثين في مضماره.

أمّا الجهات التي تتوجّه إليها هذه التوصيات فهي كثيرة، ويأتي في مقدمتها أقسام اللغة العربية وآدابها وكليات التربية ومراكز اللغات الأجنبية في الجامعات العربية. ولكن الجامعات لا تحمل بمفردها مسؤولية النهوض بتعليم العربية للأجانب، فهذه العملية تتطلب أن تتضافر جهود وزارات التربية والتعليم العالي والثقافة والخارجية والإعلام وجامعة الدول العربية ومجامع اللغة العربية في إطار استراتيجية متكاملة لتعزيز المكانة الدولية للغة العربية.

فإنّ العربية تتمتع بفرص جيدة لأن تكون في القرن المقبل إحدى اللغات الحية الرئيسة في العالم. ولكنّ كلّ شيء يتوقف على ما ستبذله الأمة العربية من جهود للاستفادة من تلك الفرص وتحويلها إلى واقع عملي. فإذا وعت الجهات التعليمية والثقافية هذه المسألة وقامت بما يلزم القيام به، فإنّ اللغة العربية ستتحوّل إلى لغة ذات مكانة إقليمية ودولية مرموقة.أمّا إذا تقاعست تلك الجهات، فإنّ تقاعسها سيؤدي إلى ضياع الفرص مهما كانت كبيرة، وإلى

تراجع المكانة الدولية والإقليمية للعربية وانضمامها إلى قائمة اللغات التي ليس لها أكثر من أهمية محليّة. فأي مستقبل نختار للغتنا وأدبنا وثقافتنا؟

الهوامش

(1) على سبيل المثال فإنّ المركز الثقافي الألماني(معهد غوته) يتلقى من وزارة الخارجية الألمانية دعماً مالياً يربو على(300) مليون مارك سنوياً. (راجع بهذا الخصوص:

Goethe- Handbuch 1997. München (1998

ومن المؤكّد أنّ المراكز الثقافية لكلّ من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإسبانيا تتلقى من حكومات هذه الدول عوناً مالياً لا يقلّ عما يتلقاه معهد غوته، ولكن تلك الحكومات تترك لمراكزها الثقافية حيزاً من حرية التصرف والاستقلالية يمكّنها من أن تنشط بعيداً عن القيود البيروقراطية والاعتبارات السياسية الرسمية. وهذا أحد الأسباب الهامّة لنجاح تلك المراكز في أداء أدوارها. وفي مطلق الأحوال فإنّ التجارب الغربيّة في العمل الثقافي الخارجي تستحق أن ندرسها ونقوّمها وأن نستفيد منها في عملنا الثقافي الخارجي.

(2) وعلى سبيل المثال فإنّ"تعليم اللغة الألمانية كلغة أجنبية" قد ترسخ في الأعوام القليلة الأخيرة وتحول إلى مجال رئيس من مجالات دراسة اللغة الألمانية وآدابها. راجع بهذا الشأن:

R. Ehnert/ H.Schr?der) Hg) : Das Fach Deutsch als Fremdsprache in

den deutschsprachigen Landern . Frankfurt/ M:Lang, .1994

(3) في ألمانيا تتلقى المدارس الخاصة دعماً مالياً يتناسب مع عدد الأجانب الذين يتعلمون فيها اللغة الألمانية، مما يشجع تلك المدارس على إحداث شعب لتعليم الألمانية للأجانب، ويدفع كثيراً من المدرّسين الباحثين عن عمل لأن ينشطوا في هذا المجال.

(4) مثال ذلك الرابطة الاختصاصية"الألمانية كلغة أجنبية"

(التي تضم معظم المتخصصين في شؤون تعليم Fremdsprache - als- Fachverband Deutsh)
Fremdsprache - als - الألمانية لغير الناطقين بها. وتصدر عنها مجلة علمية متخصصة هي(Informationen Deutsh) ، يضاف إلى ذلك"الرابطة الدولية لمدرّسي اللغة الألمانية" (Internationaler Deutschleherverband)

(5) بخصوص الترتيبات اللغوية المعمول بها في منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والهيئات الدولية والإقليمية الأخرى راجع:

K. - R. Bausch, H. Chtist, W. Hüllen, H. - J. Krumm(Hg) : Handbuch Fremdsprachenunterricht, Tübingen, 1989, S. 8

(6)Ebed. , S. 100- 150 راجع بهذا الخصوص:

(7) تستفيد فرنسا في مسعاها هذا من منظمة الدول الفرانكفونية، وتصرّ الحكومة الفرنسية على إدراج تعليم اللغة الفرنسية في كلّ المعاهدات الثقافية الثنائية التي تعقدها مع الدول الأجنبية. ويكفي أن نذكّر بالسياسة اللغوية العدوانية التي اتبعتها فرنسا في مستعمراتها، وحاولت من خلالها اقتلاع اللغات الوطنية للشعوب المستعمرة وإحلال الفرنسية محلّها. والمثال الصارخ على ذلك هو القطر الجزائري الشقيق، الذي مازال إلى اليوم يعاني من عقابيل سياسة الفرنسة.

(8) إنّ خدمة اللغة ورعايتها تتطلب إنفاق مبالغ مالية طائلة، ولكن اللغة تعود على المجتمع بفوائد مادية نتيجة تسويق المواد والخدمات المتعلقة بها. وهكذا يمكن التحدث عن"اقتصاديات اللغة".

(9) حول هذه المسألة راجع:

U. Ammon: Die Internationale Stellung der deutschen Sprache. Berlin : Walter de Gruyter, 1991.

(10) من الدول العربية التي لها حضور ملحوظ في مضمار تعليم اللغة العربية للأجانب الجمهورية التونسية(معهد الحبيب بورقيبة) والجمهورية العربية السورية والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية. راجع بهذا الشأن: علي أحمد مدكور: تقويم برامج إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها.الرباط، منشورات الإيسكو، 1985.

(11) صدر إلى الآن ثلاثة أجزاء من هذا الكتاب، وقد تولت نشره المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(تونس)

(12) راجع بهذا الخصوص: كتاب الإيسيسكو للتعليم الذاتي(تعلموا العربية. إعداد مجموعة من الخبراء. الرباط 1996)

(13) راجع بهذا الخصوص: قاسم عثمان نور: بيبليوغرافيا مشروحة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. المجلة العربية للدراسات اللغوية، م6، ع1– 2، شباط 1988، ص51– 104 .

(14) لمزيد من المعلومات راجع: رشدي أحمد طعيمة: تعليم العربية لغير الناطقين بها. مناهجه وأساليبه. الرباط(إيسيسكو) 1989 .

Copyright © 2011vBulletin Solutions, Inc. All rights reserved .
Translate By Almuhajir

وفي هذا الإطار قال المفكر) ارنست هو كينج):"أما اللغة العربية فهي من أجمل اللغات وأكثرها دلالة، وقد كانت مع اللاتينية في العصور الوسطى إحدى اللغتين الدوليتين في حقول العلم والسياسة والاقتصاد، إنها لغة حافظت على نقاوتها ".(1(

وإذا كانت اللغة العربية قد لعبت دوراً هاماً في رفع كيان الأمة العربية وامتداد حضارتها فإنها أيضاً لعبت دوراً أساسياً في حياة الأمم الأوروبية أيضاً، هذه الأمم التي توحدت بعد تجزئة وصراع ... وهذا دليل واضح على أن اللغة تعتبر مقوماً أساسياً للتكوين القومي، والدليل على ذلك قيام الوحدة الألمانية على أساس شعور المتحدثين باللغة الألمانية ـ رغم انقسام ألمانيا إلى عدة ولايات. وكذلك تمت الوحدة الإيطالية على هذا النحو.

فاللغة القومية كما يعتبرها الفيلسوف (هردر) في مؤلفة:"فلسفة أخرى في تاريخ البشرية". إنها بمثابة الوعاء الذي تتشكل فيه وتنقل بواسطة أفكار الشعب.(2(

وقد حاول بعض مفكري الغرب التقليل من أهمية اللغة العربية كظاهرة ثقافية واجتماعية بزعم أنه لا توجد لغة عربية تخاطبية بين البشر، إنما توجد لغة عربية مقصورة على الكتابة، ومن ثم تصبح لغة ميته في نظرهم كاللغة اللاتينية، وأن اللغة المنتشرة في أرجاء الوطن العربي هي اللهجات المحلية، كاللهجة المصرية واللهجة اللبنانية واللهجة الشامية.(3) وإن كان هذا الرأي فيه بعض الصحة لسيطرة اللهجات المحلية على اللغة العربية، إلا أن هذا لايعني التقليل من أهمية اللغة العربية ولا يقدح في وجودها واستمرارها، فاللغة العربية هي وعاء ثقافي حضاري وتوحيدي ينبغي على أبناء هذه الأمة المحافظة عليه، والعمل على استمرار فعاليته لصالح بقاء الأمة العربية وازدهارها.

ولمعالجة هذا الموضوع يجدر بنا طرح التساؤلات التالية :-

- ما هو السر في بقاء واستمرارية اللغة العربية؟

- ما هي آراء ووجهات نظر المهتمين باللغة العربية من أبناء جلدتها ومن مفكري الغرب؟

وإذا كان لأي لغة دور وجدت لآدائي، فما هو دور اللغة العربية في الحضارة الإنسانية، أو بعبارة أخرى، ماذا قدمت اللغة العربية للإنسانية، وما هي خصائصها؟

وأخيرا :ما هي أهمية اللغة العربية بالنسبة للهوية الثقافية للأمة العربية ؟ ولماذا تحاك ضدها لامؤامرات للنيل منها وإقصائها ؟

والإجابة عن التساؤلات المطروحة سوف نضمنها محاور المباحث التالية:-

المبحث الأول : اللغة العربية من وجهت نظر مفكريها.

يجدر بنا ضمن هذا المبحث أن نقدم آراء المهتمين باللغة العربية، والذين جاهدين على إبراز فصاحتها وبلاغتها من أبناء جلدتها، وفيما يلي بعض هذه الآراء:-

يرى عبد الرحمن الكيالي في بحثه :" عوامل تطور اللغة العربية وانتشارها " أنها "تمتاز عن سائر اللغات السامية وعن سائر لغات البشر بوفرة كلماتها، حتى قال السيوطي في "المزهر" إن المستعمل والمهجور منها يبلغ.(78031312)

ويقول الزبيدي في مؤلفة "تاج العروس": إن الصحيح يبلغ (6620000 (كلمة والمعتل يبلغ

(6000) كلمة...كما أنها تمتاز بتنوع أساليبها وعذوبة منطقتها، ووضوح مخارجها ووجود الاشتقاق في كلماتها، إلى جانب أنها تجمع مفردات في مختلف أنواع الكلمة : اسمها، وفعلها، وحرفها، ومن المترادفات في الأسماء، والأفعال، والصفات ما لم يجمع مثله في لغة أخرى، مثال ذلك أن للأسد خمس مائة اسم وللعسل أكثر من ثمانين اسماً. ويروى "الفيروزبادي" صاحب القاموس أن للسيف في العربية ألف اسم على الأقل، وأن من المطر والريح والظلام والناقة والحجر والماء والبئر أسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها إلى ثلاثمائة في بعضها الآخر".(4(

ويرى عبد الرحيم السائح أحد أساتذة الأزهر أن "اللغة العربية أعرق اللغات العالمية منبتاً، وأعزها نفراً: سايرها التاريخ وهي مهذبة، ناجحة مليئة بالقوة والحيوية، وبفضل القرآن صارت أبعد اللغات مدى، وأبلغها عبارة، وأغزرها مادة، وأدقها تصويراً لما يقع تحت الحس، وتعبيراً عما يجول في النفس، تتسع لتحيط بأبعاد انطلاقات الفكر، وتصعد حتى تصل أرقى اختلاجات النفس، واسعة سعة الجو، عميقة عمق البحر، وليس هناك فكرة من الأفكار، ولامعنى من المعاني، ولا عاطفة من العواطف، ولانظرية من النظريات عجزت اللغة العربية عن تصويرها تصويراً صادقاً، بارز القسمات حتى المقاطع."

ويضيف قائلاً:"أن اللغة العربية استطاعت في رحاب عالمية الإسلام أن تتسع لتحبط بأبعد انطلاقات الفكر، وقد زادتها مرونتها وقدرتها على التفوق تبلوراً، وتفاعلا، ونماء، وأعطتها طاقة خلاقة وحياة مدهشة".(5(

ويرى أحمد الخطيب:" أن اللغة العربية تتميز بمرونة فائقة، تيسر صياغة الألفاظ الدقيقة التعبير، والواضحة الدلالة، بحيث أن وزن اللفظة كثيراً ما يحدد مدلولها. إن كان إسم آلة، أو إسم مكان، أو زمان، أو اسم هيئة، أو اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو اسم تفضيل، أو صفة مشبهه، أو مصدراً، أو صيغة مبالغة أوتصغيراً، إلى غير ذلك مما ليس له نظير في اللغات الأخرى."

ويرى الياس قنصل "أن اللغة العربية تختلف عن غيرها من اللغات بأن" الحياة" التي فيها حياة خلاقة، مبدعة ذات عبقرية خاصة، وفي الوقت الذي نجد فيه اللغات أدوات للتعبير، متى بلغته فقد بلغت غايتها، وانتهت مهمتها، نجد أن اللغة العربية لا تكتفي بهذه الغاية، القصوى بل هي تريد أن

يكون التعبير جميلاً، وتريد أن يمتد هدفها إلى أكثر من ذلك، فيتحول(إلى فكرة مستمرة الجمال والذوق، فكرة تندفع بصورة تلقائية وتتولد من نفسها كالطاقة الذرية سواء بسواء.(

ويلاحظ شكري فيصل أن" العالم بأسره شهد على ما تتميز به العربية من الحيوية، والغنى، والمرونة، والقدرة على تقبل الجديد وتوليد اللفظ، ماتتصف به من قدرة على الوفاء بسائر الأغراض. فقد اعترفت منظمة الأمم المتحدة والمنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة، والمنظمات والوكالات الدولية الأخرى بأن اللغة العربية لغة حية، واعتمدتها لغة رسمية إلى جانب اللغات الأخرى: الانجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية."

وحول نفس المعنى يقول رشاد دارغوت : " ماحفظ اللغة العربية وصانها من الانقراض سوى الحيوية التي امتازت بها، وهي التي حببتها إلى شتى الشعوب والأمم المستعربة، فاستبدلتها بلغتها الأصلية، وذلك بالإضافة إلى أنها لغة القرآن، وليس أدل على تلك الحيوية المرنة من تقبلها الاشتقاق على أوسع نطاق أن ترضخ له اللغات... وإني لأعتقد أن الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرف الناطقين بها جديرة بأن توسع اللغة، وتغنيها، وترقيها وترفعها إلى مستوى عال سام."

ويلاحظ محمود الجليلي، عضو المجمع العلمي العراقي:"إن اتساع اللغة العربية يجعلها قابلة للتطور لتستوعب النمو السريع في مختلف العلوم والفنون، وقد سبق لها أن استوعبت العلوم والفلسفة قبل مئات السنين، وهي الآن ماضية في نفس السبيل."

تلك كانت وجهات نظر بعض اللغويين والمفكرين العرب كلها تشيد بعبقرية اللغة العربية، وتشهد على صلاحيتها لتدريس جميع العلوم والفنون والتقنيات، وسائر المعارف والمفاهيم البشرية.

ولعل من المفيد أن نقدم آراء بعض المفكرين واللغويين الغربيين، الذين لاينتمون إلى العروبة بأي صلة. وتوضيح مدى إعجابهم بها وبقدراتها الخلاقة.

المبحث الثاني: اللغة العربية من وجهة نظر مفكري الغرب.

كان لزاماً علينا أن نقدم وجهة نظر بعض المفكرين الغربيين. رغم أن بعضهم قد جاهر بكراهته للعرب والمسلمين، وفيما يلي بعض هذه الآراء-:

يحكي لنا الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي "جوستاف لوبون" أن:" اللغة العربية أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب، حيث خلفت تماماً اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية، واليونانية، والقبطية، والبربرية.."(6(

ويقول"جورج ريفوار أن اللغة العربية قد خضعت لمقتضيات الإصلاح، ولهذا فقد انتشرت في مجموع أنحاء آسيا، واستأصلت نهائياً اللهجات القديمة، وذلك عندما انكب العرب على دراسة الآداب الأجنبية بحماس فاق الحماس الذي أظهرته أوروبا في عهد الانبعاث، وقد تم ذلك في عهد الخلفاء العباسيين حيث عربت أهم المصنفات اليونانية في عهدهم.

وقد قضت العربية حتى على اللاتينية، لاسيما في شبه الجزيرة الإبيرية (اسبانيا)، فقد ندد الكاتب المسيحي "الفارو" بجهل مواطنيه فقال:" إن المسيحيين يتلذذون بقراءة القصائد وروائع الخيال العربية، ويدرسون مصنفات علماء الكلام المسلمين، لابقصد تفنيدها، بل من أجل التمرن على الأسلوب الصحيح الأنيق في العربية، وجميع الفتيان المسيحيين المبرزين لايعرفون سوى اللغة العربية، والأدب العربي، فهم يقرؤون الكتب العربية ويدرسونها بكامل الحرارة، ويتهافتون على اقتناء المكتبات الضخمة، مهما كلفهم ذلك من ثمن، ويعلنون على الملأ حيثما وجدوا: أن الأدب العربي شيء بديع... ما أعظم الألم !لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم الدينية، ولاتكاد تجد واحداً بين الألف يحسن تحرير رسالة باللاتينية إلى صديق له، أما باللغة العربية فإنك تجد أفواجاً من الناس يحذقون التعبير بهذه اللغة بكامل الأناقة، بل إنهم يقرضون من الشعر – بالعربية – ما يفوق من الوجهة الفنية أشعار العرب أنفسهم"(8.(

وحول نفس المعنى، يؤكد المؤرخ "دوزي" أن أهل الذوق من الاسبان بهرتهم نصاعة الأدب العربي واحتقروا البلاغة اللاتينية، وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين، فاللغة العربية ظلت أداة الثقافة والفكر في اسبانيا إلى عام 1570، ففي ناحية "بلنسية" استعملت بعض القرى اللغة العربية لغة لها إلى أوائل القرن التاسع عشر، وقد جمع أحد أساتذة كلية مدريد (1151 (عقداً في موضوع

البيوع محرراً بالعربية.."(9.(

ويصف "فيكتور بيرار" اللغة العربية، في القرن الرابع الهجري بأنها أغنى، وأبسط، وأقوى، وأرق، وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة، فهي كنز يزخر بالمفاتن، ويفيض بسحر الخيال، وعجيب المجاز، ورائع التصوير.

هذه آراء بعض المفكرين الغربيين، الذين شهدوا بعبقرية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب جميع العلوم، والتعبير بلغة سليمة ودقيقة عن كل المفاهيم والمصطلحات في مختلف المعارف والعلوم الإنسانية، وهذا ما جلها تقوم بدور فعال في ازدهار الحضارة الإنسانية.

المبحث الثالث: دور اللغة العربية في الحضارة الإنسانية.

لتوضيح دور وأهمية اللغة العربية في الحضارة المعاصرة نقدم بعض وجهات نظر العلماء الغربيين، الذين لايمتون إلى العروبة ولا إلى الإسلام بأي صلة، بل منهم من جاهر بعداوته للعرب وللمسلمين، وخلدها في بعض ما ألف من كتب ومصنفات، مثل "ارنست رينان" وغيره.

وفي هذا الإطار يقول "جورج ريفوار":إن نفوذ العربية أصبح بعيد المدى، حتى أن جانباً من أوروبا الجنوبية أيقن بأن العربية هي الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب. وأن رجال الكنيسة اضطروا إلى ترجمة مجموعاتهم الدينية إلى العربية لتسهيل قراءتها في الكنائس الاسبانية(10.(

أما في فرنسا فقد أكد "جوستاف لوبون" أن للعربية آثاراً مهمة في فرنسا نفسها. ولاحظ المؤرخ "سديو" أن لهجات منطقة "أفيرني وليموزان" زاخرة بالألفاظ العربية، وأن الاعلام تتسم في كل مكان بالطابع العربي.

ويقول الباحث "فنتجيو": قد صارت العربية لغة دولية للتجارة والعلوم، واعترف "كارادفو "مؤلف "مفكروا الإسلام" وهو مسيحي متحمس، بأن الإسلام علم المسيحية منهاجاً في التفكير الفلسفي، هو ثمرة عبقرية أبنائه الطبيعية، وأن مفكري الإسلام نظموا لغة الفلسفة الكلامية التي استعملتها

المسيحية، فاستطاعت بذلك استكمال عقيدتها جوهراً وتعبيراً .
ويتعجب "ارنست رينان" من أمر اللغة العربية، قائلا:" من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتبلغ درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، ولم تعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة. ونكاد لا نعلم من شأنها إلا فتوحاتها، وانتصاراتها التي لاتبارى، ولانعرف شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة، وهذه ظاهرة عجيبة لاسيما إذا اعتبرنا مدى مساهمة الفلسفة الإسلامية في تكوين علم الكلام، خلال القرون الوسطى، والدور الذي قام به كل من ابن سينا وابن رشد، وما كان لهما من تأثير على أشهر مفكري المسيحية"(11.(

ويعترف العالم الألماني "رانكي" بالدور الذي تقوم به اللغة العربية في الثقافة الإنسانية قائلا:" إن الفلسفة الإنسانية تعتمد على لغتين، هما: العربية واللاتينية. وبينما اشتقت اللغات الغربية من اللاتينية، فقد نشرت اللغة العربية في الشرق روحاً فنية، ولا يمكن فهم المصنفات الأدبية، الفارسية والتركية، بدون العودة إلى الكلمات العربية، وخاصة أن وحي القرآن الكريم الذي لايجارى، يعد – بلا مراء – أساس العقيدة الإنسانية، والثقافة البشرية"(12.(

وعبر الأستاذ "ماسنيون" عن نفس الفكرة قائلا:" إن المنهاج العلمي قد انطلق، أول ما انطلق باللغة العربية، ومن خلال العربية في الحضارة الأوروبية.. إن العربية استطاعت بقيمتها الجدلية، والنفسية، والصوفية، أن تضفي طابع القوة على التفكير الغربي، إن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإن استمرار حياة اللغة العربية دولياً لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم في المستقبل".(13(

وأخيراً كتب "جول فيرن" قصة خيالية تتناول سياحاً يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى وصلوا وسطها، ولما أرادوا العودة إلى الأرض، قرروا أن يتركوا هناك أثراً يخلد رحلتهم، فنقشوا على صخرة، كتابة باللغة العربية. ولما سئل "جون فيرن" عن وجه اختيار اللغة العربية قال:" إنها لغة المستقبل."

هذه بعض شهادات رجالات ومفكري الغرب، قد أشادوا بأهمية اللغة العربية ودورها في تحقيق السلام بين الأمم باعتبارها لغة المستقبل.

وعلينا الآن أن نتأكد من صحة هذه النتائج، ونتعرف بقدر الإمكان على خصائص اللغة العربية وقدرتها على الاضطلاع بمهمة استيعاب مختلف المعارف البشرية.

المبحث الرابع :خصائص اللغة العربية.

تتميز اللغة العربية بعدة مميزات وخصائص، نوجز بعضاً منها على النحو التالي-:

-1التوالد: يرى أحد اللغويين أن عبقرية اللغة العربية متأتية من توالدها.

فكل كلمة فيها تلد بطوناً، والمولودة بدورها تلد بطوناً أخرى، فحياتها منبثقة من داخلها، وهذا التوالد يجري بحسب قوانين، وصيغ، وأوزان، وقوالب، هي غاية في السهولة والعذوبة.

-2القوة والسعة: كتب ابن الأنباري تحت باب "اللغة العربية أفضل اللغات وأوضحها" : (أين لسائر اللغات من السعة ماللغة العربية؟، ويستطرد فيضرب لنا مثلاً بقوله، وقد نقل الانجيل عن السريانية إلى الحبشية، والرومانية، وترجمت التوراة، والزبور، وسائر كتب الله عزوجل إلى اللغة العربية، أما القرآن فلا يمكن ترجمته للغات الأخرى، لأن ما فيه من استعارة، وتمثيل، وقلب، وتقديم وتأخير، لاتتسع له طبيعة اللغات الأخرى.(

-3التنسيق الدقيق: يرى أحد المهتمين باللغة أن لغتنا العربية جميلة وعجيبة، قائلا ":لامبالغة في القول إن اللغة العربية هي لغة الأعاجيب في وضعها المحكم وتنسيقها الدقيق، فمن استطاع أن يستجلي غوامضها، ويستقرئ دقائقها،ويلم بما هنالك من حكمة وفلسفة وبيان للدقائق وأسبابها المنطبقة على العقل والمنطق استيقن أن العربية قد وضعت بإلهام من المبدع الحكيم جلت قدرته، فالمحدث عنها كالمحدث عن السماء وكواكبها وبروحها ونظامها الفلكي، يذكر الأقل ويند عنه الأكثر، أو كالمحدث عن البحر الجياش الدائم الجزر والمد، يقول شيئاً وتفوته أشياء"(14.(

-4القدم والتجدد: يرى أحد المستشرقين، يدعى "ماجليوت" إن اللغة العربية لاتزال حية حياة حقيقية، وإنها إحدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاء لم يحصل عليه غيرها (الإنجليزية والإسبانية)، وهي تخالف أختيها بأن زمان حدوثهما معروف، ولا يزيد سنهما على قرون معدودة، أما اللغة العربية فابتداؤها أقدم من كل تاريخ.

أما المستشرق "وليام رولد" فيؤكد على أن اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى أمام لغة من اللغات التي احتكت بها، وذلك لأن لها ليناً ومرونة يمكناها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر.

ولعل ما جعل "جون فيرن" يعتبر اللغة العربية لغة المستقبل.

-5الاشتقاق: وفي هذا يقول أحد شيوخ الأزهر: إن ما يجعل اللغة العربية أكثر مرونة في الواقع من غيرها من اللغات الحية المعروفة، أنها أكثر قبولاً للاشتقاق.

والاشتقاق باب واسع تستطيع اللغة العربية أن تؤدي معاني الحضارة الحديثة على اختلافها. والاشتقاق في العربية يقوم بدور لايستهان به في تنويع المعنى الأصلي وتلوينه، إذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة، وتعدية، ومطاوعة، ومشاركة، ومبادلة، مما لايتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية إلا بألفاظ خاصة، ذات معان مستقلة. ولانزاع في أن منهج اللغة العربية الفريد في الاشتقاق، قد زودها بذخيرة من المعاني لايسهل اداؤها في اللغات الأخرى.

وقد لاحظ السيوطي هذه الزيادة في المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بأنه: أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة وهيئة وتركيباً ليدل بالثانية على معنى الأصل لزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا هيئة وحروفاً.

وجلي أن هذه الطريقة في توليد الألفاظ بعضها من بعض، تجعل من اللغة العربية جسماً حياً تتوالد أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة، وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لابد منها لو عدم الاشتقاق. وإن هذا الارتباط بين ألفاظ العربية الذي يقوم على

ثبات عناصر مادية ظاهرة، وهي الحروف والأصوات الثلاثة، وثبات قدر من المعنى سواء كان مادياً ظاهراً، أو مختفياً مستتراً، خصيصة عظيمة لهذه اللغة تشعر متعلمها بما بين ألفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي، وأن طريقتها حيوية توليدية وليست آلية جامدة"(15.(

وفي هذا الإطار يقول العلامة ساطع الحصري، بعدما ذكر "النحت "و"التعريب" و"الاشتقاق": "لاريب في أن الاشتقاق هو أهم الوسائل الثلاث، لأنه الأفعولة الأصلية التي كونت اللغة العربية، فستبقى هذه الأفعولة بطبيعة الحال أهم الأفاعيل التي ستعمل على توسيعها. زد على ذلك أن عملية الاشتقاق تشمل الوسيلتين الأخريين، إذ إنها تتناول نتاج التعريب والنحت أيضاً، وتولد كلمات جديدة حتى من الكلمات المعربة والمنحوتة"(16 .(
وقد أثبت الاشتقاق جدواه علميا في مجال المصطلحات العلمية، مثال ذلك، فقد اشتق من كلمة "باستور" وهو اسم لعالم فرنسي شهير – فعل "بسترر" بجميع تصاريفه وأجناسه من ماض وحاضر ومستقبل، وذكر وأنثى، ومفرد وجمع لكل من الجنسين، ثم اشتقت منه اسم المرة، فقيل" بسترة" للدلالة على أن الفعل وقع مرة واحدة، فإن وقع مرتين، قيل "بسترتان" أو "بسترتين" حسب موقع الكلمة من الإعراب ، وقيل في وقوع الفعل مرات عديدة "بسترات". هذا وقد ساعدتنا قواعد الاشتقاق في أن نشتق كلمة تدلنا على تسمية من فعل "البسترة" فقلنا :"مبسترر" و"بستار" للتدليل على اسم المحترف، ولانجد مثل هذا في اللغة الفرنسية التي ينتسب إليها العالم "باستور"، فلو رجعنا على سبيل المثال إلى معجم "لاروس" لانجد اسماً لمن قام بعملية معينة من" البسترة" ولا اسماً لتعيين المحترف لها، ونجد فقط ثلاث كلمات هي:"بستري" و"بسترة "وفعل "بسترر".(17(

والجدير بالذكر أن قاعدة الاشتقاق وفرت للباحثين واللغويين قاعدة لصياغة اسم الآلة على وزن "مفعلة" في الفعل الثلاثي، وعلى وزن "مفعللة" في الفعل الرباعي، فيقال للآلة "مبسترة."

وهذا يدلنا على أن اللغة العربية بإمكانها إيجاد اسماً للآلة مهما كان نوعها قبل أن توجد، وهذا يدحض خصوم العربية واتهامها بأنها قاصرة عن التعبير عن أسماء الآلات المستحدثة، وعن كل ما يستجد من اكتشافات علمية واختراعات وهذا ما لا يتوفر لأي لغة أخرى غير العربية. أضف إلى ذلك أنه لايمكننا أن نعالج بوضوح موضوع تعريب المصطلحات العلمية دون الإلمام بالقياس.

-6القياس: وهو عبارة عن القواعد التي تشكل بها ألفاظ اللغة العربية نطقاً وكتابة، وهذه القواعد التي يسميها علماء اللغة "الأوزان" وما سمي القياس قياساً إلا لأنه يقيس الكلمات على هذه الأوزان، فلا تخرج كلمة عربية أصلية عن وزن معلوم بها.

وكما هو معلوم فإن الوزن يعتبر الأداة الوحيدة في اللغة العربية التي يمكن عن طريقها اشتقاق ألفاظ جديدة، وبالتالي إيجاد مقابلات عربية للمصطلحات العلمية والتقنية.

-7الوزن: وجمعها أوزان: وهي عبارة عن قوالب تصاغ فيها وعلى هيئتها وقياسها المادة اللغوية، وهذه القوالب هي نفسها مصنوعة من ثلاثة حروف (ف.ع.ل) يضاف إليها في بعض الأوزان حرف من حروف العلة الثلاث(أ.و.ي) وفي بعضها الآخر حروف صحيحة مثل (س.ت.ن). في مثل : "استشاروا" و" يستشيرون" والأوزان عبارة عن "تفاعيل" من أمثال: فَعَلَ وفَعَل، وفِعْل وفاعل ومفعول إلخ... ويقدر علماء اللغة أن في اللغة العربية مايزيد على ألف من هذه التفاعيل أو الأوزان(18.(

وهكذا يتضح أن القياس على أوزان الألفاظ يعد من لوازم فقه اللغة، فلا يستقيم التعبير باللغة العربية إلا بحسن استعماله، فالوزن والنحت لازمان لإنجاح عملية التعريب، والنحت هو فرع من الإشتقاق عند بعض اللغويين وهو ضرب من ضروبه عند آخرين.

-8النحت: جاء في معجم الوسيط أن :"نحت الكلمة أخذها وتركيبها من كلمتين أو كلمات، يقال "بسمل" بمعنى: باسم الله الرحمن الرحيم، و"حوقل "بمعنى: لاحول ولا قوة إلا بالله"، وقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قراراً بجواز النحت؛ هذا نصه:"يجوز النحت عندما تدعو إليه الضرورة العلمية". ورأت اللجنة المقررة: القول بجواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة"(19.(

وعلى العموم فإن النحت يعتبر شكلا من أشكال الإيجاز، مثل الإعراب، وهما خاصيتان من خصائص اللغة العربية ينبغي الاستفادة منهما في مجال تعريب المصطلحات العلمية.

-9الإيجاز والدقة: اشتهر العرب بالاقتصاد في كلامهم، فكانوا يعبرون بالحرف الواحد عن الكلمة إن افاد معناها، وبالكلمة الواحدة عن الجملة، وبالجملة الواحدة عن عدة جمل، فهم القائلون:"خير الكلام ماقل ودل". وكان هذا المثل شعار علمائهم وبلغائهم من خطباء وشعراء وأدباء .فجاءت لغتهم أكثر اللغات إيجازاً وأبلغها بياناً وأفصحها عن المقاصد والأفكار في دقة لانكاد نجدها في غيرها من اللغات.

ومن مظاهر حرص العرب على الإيجاز والاختصار من حروف الكلمة الواحدة، هي أن تاء التأنيث لاتستعمل في اللغة العربية إلا فيما تشترك فيه المرأة والرجل، وتحذف فيما اختصت به الأنثى، فمن ذلك كلمة" طاهر" للفتاة – من الحيض – أما إذا قصد بها طهارتها من العيوب الخلقية، يقال ":إمرأة طاهرة" لأن الرجل يشاركها فيها. ثم "حامل" مادامت تحمل في بطنها الجنين، فإذا هي حملت ولدها على ظهرها أو بين ذراعيها، حينذاك تدخل "تاء التأنيث" فيقال" حاملة ولدها على ظهرها أو بين ذراعيها" لأن الرجل يشاركها هذا الحمل. قال الله تعالى في سورة المسد(وامرأته حمالة الحطب) ومثل هذا الإيجاز لايوجد إلا في اللغة العربية(20.(

-10الإعراب: جاء في "المعجم الوسيط" ضمن تفسير فعل أعرب:"أعرب فلان كان فصيحاً في العربية وإن لم يكن من العرب. وأعرب الكلام بينه، أعرب لمراده :أفصح به ولم يوارب. وأعرب عن حاجته: أبان، وأعرب الاسم الاجنبي: نطق به على طريقة العرب.. وأعرب الكلام: أتى به وفق قواعد النحو، وأعربه: طبق عليه قواعد النحو."

وفسر كلمة الاعراب الذي هو مصدر فعل "أعرب" كما يلي:" فالإعراب تغيير يلحق أواخر الكلمات العربية من رفع ونصب وجر وجزم على ما هو مبين في قواعد النحو"(21.(

نستنتج مما سبق أن "الإعراب" هو الكلام، وفق قواعد النحو من أجل بيان الكلام ووضوحه.

المبحث الخامس: أهمية اللغة العربية في ترسيخ الهوية الثقافية.

العلاقة وطيدة بين اللغة والثقافة والهوية، ذلك أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب والتواصل فحسب، بل أداة لنقل الثقافة، احتضنت الفكر والإبداع والعلوم والآداب فصانتها من حملات التغريب وحفظتها تراثاً حياً يتداوله أبناء الأمة، فاللغة بهذا المعنى وعاء للثقافة والتاريخ، والمشاعر والأحاسيس، وهي الأداة الاساسية في عملية التنشئة الاجتماعية التي يتم في ضوئها بناء الفرد وإعداده بما يتلاءم وتاريخه، وانتمائه، وواقعه ومستقبله. فاللغة إذاً ذات علاقة بالثقافة المرتبطة في انصهار متين بالهوية والشخصية الوطنية.

فنحن اليوم مطالبون ببعث اللغة العربية وإحيائها من خلال بعث التراث العلمي والأدبي، لنعيد إنتاج الفكر العربي بما يمكننا في الدرجة الأولى من الحفاظ على مقوماتنا الثقافية، وهذا يتم بالطرح المتجدد والتفعيل الدائم للغتنا العربية ولنظمها الثقافية في شتى نواحي الحياة، وبدون ذلك سوف يتواصل الزحف علينا.

ولأجل هذا كانت اللغة العربية، والهوية الوطنية، أهم المستهدفات الاستعمارية التي وطأت البلاد العربية، والاستعمار الفرنسي مثال بارز على ذلك، فقد سعت فرنسا عبر تاريخها الاستعماري لبلدان المغرب العربي، لاحلال ثقافتها وفرض لغتها، فقد كان مشروع الفرانكفونية يهدف إلى تنحية اللغة العربية، واستبدالها باللغة الفرنسية.

والحقيقة أن البلدان العربية تشهد اليوم أوبة صادقة إلى ثوابتها التاريخية والحضارية ممثلة في: اللغة، والدين، والتاريخ(22.(

فاللغة العربية تلعب دوراً رئيسياً في ترسيخ الهوية الثقافية للأمة، وتميزها عن باقي الأمم؛ إن اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم تمثل نموذجاً أعلى عند أبناء العربية، وهو نموذج يعايشه المسلون كل يوم، ويستحضرونه في جميع اتصالاتهم وعلاقاتهم في جميع المعاملات والمناسبات. هو ملهمهم في أمور دينهم وفي أمور دنياهم.

المبحث السادس: العولمة وخطرها على اللغة العربية.

إذا كانت العولمة كمفهوم تعني توحيد العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً توحيداً قسرياً ففي الاقتصاد تعني فتح الأسواق الداخلية أمام المنتجات الأجنبية عن طريق الشركات العابرة للقوميات، وتعني العولمة الاقتصادية في هذا المجال إغراق الدول بالمديونية، وأنه بعجز الدول على الدخول في منافسة اقتصادية متكافئة، فإن ذلك يعني قبول تخلفها وتبعيتها. أما في المجال السياسي، فتعني العولمة من وجهة نظر الدول المهيمنة: أنت لست معي وسأطبق عليك قوانيني، وهذا يعطيها حق التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان، وإثارة النعرات الاقليمية تارة تحت حقوق الإنسان وتارة تحت حماية الاقليات، وأخرى بحجة محاربة الإرهاب. وثقافياً تعني العولمة التوحيد النمطي للثقافات العالمية، أي القضاء على التعددية الثقافية، وفي مقدمتها الثقافة العربية الإسلامية وضرب مقوماتها والتي من أهمها اللغة العربية والدين(23.(

وإذا كان الاتجاه لمحاربة اللغة العربية قد بدأ إبان فترة الاستعمار الغربي للبلدان العربية، وكان سدنته حينذاك بعض المستشرقين. ففي عام1880 نشر "ولهلم سبيتا" كتاباً باللغة الألمانية في قواعد اللغة العربية العامية في مصر، ادعى فيه أن مصير اللغة العربية الفصحى إلى الموت كما ماتت اللاتينية، وفي أيامنا هذه نما هذا الاتجاه لمحاربة اللغة العربية، والتهوين من شأنها، وفي التشكيك بقدراتها على تلبية حاجات العصر ومستجداته، ومن أبرز العوامل غير المباشرة في تهوين اللغة العربية التدريس في الجامعات العربية باللغة الانجليزية بالذات، بحجة أن هذه اللغة هي لغة معظم الأمم التي تبدع تلك العلوم. وبالطبع هي حجة واهية بدليل أن معظم بلدان العالم تدرس العلوم بلغتها الوطنية معتمدة على متابعتها وعلى ترجمة ماتحتاجه منها إلى لغتها. ونجاح الجامعات السورية بتدريسها باللغة العربية، خير دليل على قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم(24.(

وإذا كان أهم ما يميز زمن العولمة هو تنامي وسائل الاتصال السمعية والبصرية، والتي تلعب اللغة دوراً هاماً فيها، فإنه من المؤسف حقاً أن نلاحظ انخفاض مستوى لغة الآداء الاعلامي في بعض القنوات الفضائية العربية التي تستخدم اللغة العامية، وتعمد إلى استخدام المصطلحات الأجنبية في عدد من برامجها، وكأن هناك تنسيقاً بين المشرفين على هذه القنوات لزعزعة الهوية الشخصية للثقافة العربية ومحاربة لغتها بدلاً من تدعيمها، الأمر الذي يؤكد مسؤولية جميع المؤسسات السياسية والثقافية المخول لها اتخاذ القرارات الحاسمة تجاه دعاة التغريب ودعاة محاربة اللغة والدين.

هوامش ومراجع البحث-:

-1يوسف خليل يوسف: القومية العربية ودور التربية في تحقيقها، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص34.

-2صلاح الدين عبد الوهاب: أضواء على المجتمع العربي، المكتبة الثقافية، بيروت، 1963،ص 12.

-3نفس المرجع،ص.17-16

-4إدريس العلمي: في اللغة العربية، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء ،2001،ص13.

-5نفس المرجع،ص 15.

-6جوستاف لوبون: حضارة العرب، الطبعة الفرنسية، ص473.

-7ينظر ذلك في كتابه: وجوه الإسلام.

-8إدريس العلمي، مرجع سابق، ص19-20.

-9ينظر ذلك في كتابه :تاريخ مسلمي اسبانيا، الجزء الأول ،ص 317.

-10جوستاف لوبون، مرجع سابق، ص474.

-11ينظر ذلك في كتابه: تاريخ اللغات السامية.

-12ادريس العلمي، مرجع مذكور ،ص 21.

-13جوليوساني: ترجمة سعدون السويح. لويس ماسينيون: الدارس المسيحي للإسلام. مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد(4)، 1987، ص. 442 – 441

-14ينظر ذلك في : الأمير أمني آل ناصر الدين أمير الدولتين في كتابه " دقائق العربية. "

-15عثمان أمين: " فلسفة اللغة العربية " ، مجلة الأصالة ، السنة (7) ، مايو 1978، ص 104 – 105.

-16إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1981، ص 161. وينظر أيضاً: أبو الفتح بن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد السقا وآخرين، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ،.1954

-17إدريس العلمي: في التعريب ، مطبعة النجاح الجديدة ، دار البيضاء،2001 ، ص 29 .

-18ينظر ذلك في: أبومنصور الثعالبي، فقه اللغة، ص 192 وما بعدها.

وينظر أيضاً: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص588 ومابعدها .

-19حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دارالثقافة، الدارالبيضاء، (ب،ت)، ص 172 ومابعدها.

-20ينظر ذلك في: هنري فليش، العربية الفصحى، تعريب: عبدالصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، 1983. وأيضاً: عبد العزيز بن عبدالله: المعنى والإعراب عند النحويين، منشورات دار النشر، تونس، 1982 ص 641.

-21عبدالوهاب ملا:"الإعراب ونظرية العامل والمعمول"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد (4،1987) ، ص 277- 278 .

-22أحمد التدمري:"الهوية القومية في ظل امبراطورية الكون" بحث مقدم لندوة المائدة المستديرة للأساتذة العرب داخل الوطن العربي وخارجة، طرابلس في الفترة من 28 –2003/7/31 ، ص 14- 15.

-23نجاح قدور:" أية رهانات للثقافة العربية في ظل العولمة"، مجلة المؤتمر، العدد (1)، طرابلس، 2/ 2002 ، ص59-60 ،

–24عبدالرحمن عطية :"مخاطر الهيمنة على الهوية الثقافية وسبل مواجهتها"، بحث قدم لندوة "مستقبل المنطقة العربية والتغيرات الدولية"، طرابلس في الفترة من 28-31/7/ 2003، ص 13-14.

وينظر أيضاً: أحمد بن نعمان :" الوضع اللغوي لأمتنا بين الغزو والمقاومة أو الفناء"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد(9) ، 1992، ص 465 –

وأيضاً: عيسى الناعوري: " هي زيادة تدافع على اللغة العربية "، المجلة العربية للثقافة، السنة (3)، العدد (5)، 9 / 1983 ، ص 125.

اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين

إدريس بن الحسن العلمي

...فلنستمع إذن إلى العالم والمؤرخ والفيلسوف الفرنسي" كوستاف لوبون" يحكي لنا في كتابه "حضارة العرب"La Civilisation des Arabes") " الطبعة الفرنسية ص 473): « إن اللغة العربية أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب حيث خلفت تماما اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية، واليونانية، والقبطية ، والبربرية... ووقع نفس الحادث كذلك في فارس مدة طويلة. ورغم انبعاث الفارسية بقيت العربية لغة جميع

المثقفين. وقد أكد كوستاف أيضاً) ص174) بأن الفرس يدرسون اليوم (أي أواخر القرن التاسع عشر) العلوم والدينيات والتاريخ في مصنفات عربية.«

ويقول "جورج ريفوار" في كتابه "وجوه الإسلام » :"عرّبت أهم المصنفات اليونانية في عهد الخلفاء العباسيين، حيث انكب العرب على دراسة الآداب الأجنبية بحماس فاق الحماس الذي أظهرته أوروبا في عهد الانبعاث. وقد خضعت اللغة العربية لمقتضيات الإصلاح الجديد، انتشرت في مجموع أنحاء آسيا، واستأصلت نهائيا اللهجات القديمة.
»وقد قضت العربية حتى على اللاتينية، لا سيما في شبه الجزيرة الإبيرية (إسبانيا والأندلس) فقد ندّد الكاتب المسيحي "الفارو" - وهو من رجال القرن التاسع الميلادي - بجهل مواطنيه اللاتينية فقال :"إن المسيحيين يتملّون بقراءة القصائد وروائع الخيال العربية، ويدرسون مصنفات علماء الكلام المسلمين، لا بقصد تفنيدها، بل من أجل التمرّن على الأسلوب الصحيح الأنيق في العربية. وجميع الفتيان المسيحيين المبرزين لا يعرفون سوى اللغة العربية، والأدب العربي، فهم يقرأون الكتب العربية ويدرسونها بكامل الحرارة، ويتهافتون على اقتناء المكتبات الضخمة، مهما كلفهم ذلك من ثمن، ويعلنون على الملأ حيثما وجدوا : أن الأدب العربي شيء بديع... ما أعظم الألم ! لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم الدينية، ولا تكاد تجد واحداً بين الألف يحسن تحرير رسالة باللاتينية إلى صديقٍ له، أما باللغة العربية فإنك تجد أفواجاً من الناس يحذقون التعبير بهذه اللغة بكامل الأناقة، بل إنهم يقرضون من الشعر (بالعربية) ما يفوق من الوجهة الفنية أشعار العرب أنفسهم ."

»وقد أكّد المؤرخ "دوزي" في كتابه "تاريخ مسلمي إسبانيا" (ج 1 ص317)، أن أهل الذوق من الإسبان بهرتهم نصاعة الأدب العربي واحتقروا البلاغة اللاتينية، وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين .«

وقد نقل "دوزي" عن صاحب كتاب "ألوس موزار ايبس دوطوليدة" (عرب طليطلة) أن العربية ظلت أداة الثقافة والفكر في إسبانيا إلى عام 1570. ففي ناحية بلنسية استعملت بعض القرى اللغة العربية لغة لها إلى أوائل القرن التاسع عشر. وقد جمع أحد أساتذة كلية مدريد 1151 عقداً في موضوع البيوع محرراً بالعربية، كنموذج للعقود التي كان الإسبان يستعملونها في الأندلس. « ولم يفت المؤرخ "فيادرو" الذي كتب منذ نحو القرن "تاريخ العرب في إسبانيا"، أن ينوّه بثراء اللغة العربية الخارق، وشاعرية العرب الفياضة، حتى أن معظم سكان شلب - وهي اليوم جنة البرتغال - كانوا شعراء في نظر القزويني، بل يؤكد "دوزي" أنهم كلهم كانوا شعراء .

»ويصف "فيكتور بيرار" اللغة العربية، في القرن الرابع الهجري،" بأنها أغنى، وأبسط، وأقوى، وأرق، وأمتن وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة. فهي كنز يزخر بالمفاتن، ويفيض بسحر الخيال، وعجيب المجاز، رقيق الحاشية مهذب الجوانب، رائع التصوير. وأعجب ما في الأمر أن البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر، وجهابذة النثرالعربي جبلة وطبعا. ومنهم استمد كل الشعراء ثراءهم اللغوي وعبقريتهم في القريض."
»ويقول (جورج ريفوار) : إن نفوذ العربية أصبح بعيد المدى، حتى أن جانباً من أوربا الجنوبية أيقن بأن العربية هي الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب .وأن رجال الكنيسة اضطروا إلى ترجمة مجموعاتهم الدينية إلى العربية لتسهل قراءتها في الكنائس الإسبانية وأن "جان سيفل" وجد نفسه مضطراً إلى أن يحرر بالعربية معارض الكتب المقدسة ليفهمها الناس.

أما في فرنسا فقد أكد "كوستاف لوبون" في كتابه) حضارة العرب ص 174) أن للعربية آثاراً مهمة في فرنسا نفسها. ولاحظ المؤرخ "سديو "عن حق أن لهجة ناحيتي "أوفيرني" "وليموزان" زاخرة بالألفاظ العربية، وأن الأعلام تتسم في كل مكان بالطابع العربي.

»ويقول الأستاذ "فنتجيو": قد صارت العربية لغة دولية للتجارة والعلوم «، واعترف "البارون كارادوفو" مؤلف "مفكرو الإسلام" وهو مسيحي متحمس، بأن الإسلام علم المسيحية منهاجاً في التفكير الفلسفي، هو ثمرة عبقرية أبنائه الطبيعية، وأن مفكري الإسلام نظموا لغة الفلسفة الكلامية التي استعملتها المسيحية، فاستطاعت بذلك استكمال عقيدتها جوهراً وتعبيراً.

»ويتعجب "ارنست رينان" من أمر اللغة العربية فيقول في كتابه (تاريخ اللغات السامية): "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتبلغ درجة الكمال، وسط الصحاري، عند أمة من الرحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها. ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة. ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها، وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرّج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة وهذه ظاهرة عجيبة، لاسيما إذا اعتبرنا مدى مساهمة الفلسفة الإسلامية في تكوين علم الكلام، خلال القرون الوسطى، والدور الذي قام به في ذلك كل من ابن سينا وابن رشد، وما كان لهما من تأثير على أشهر "مفكري المسيحية."

ويقول (بلاشير) "اللغوي المعجمي "اللغة العربية خلاقة وبناءة."
وقال (إغناطيوس كراتشوفسكي): "أول ما نلحظه، من أول نظرة نلقيها على هذه اللغة - أي العربية - الغنى العظيم في الكلمات، والإتقان في الشكل، والليونة، والتركيب."

ويقول بروكلمان : "معجم العربية اللغوي لا يجاريه معجم في ثرائه. "
ويعترف الفيلسوف الألماني (رانكه) بـ "أن الثقافة الإنسانية، تعتمد على لغتين كلاسيكيتين، هما: العربية واللاتينية. وبينما اشتقت اللغات الغربية من اللاتينية، فقد نفثت اللغة العربية في الشرق روحاً فنية، ولا يمكن فهم المصنفات الأدبية، الفارسية والتركية، بدون العودة إلى الكلمات العربية، وخاصة أن وحي القرآن الكريم الذي لا يجارى، يعد - بلا مراء - أساس العقيدة الإنسانية، والثقافة البشرية."

ويلاحظ (ادوراد فارديك) : « اللغة العربية من أكثر لغات الأرض امتيازاً - وهذا الامتياز من وجهين : الأول من حيث ثروة معجمها، والثاني من حيث استيعاب آدابها.«

ويؤكد (لوي ماسينيون) : « في حين أن اللغة السريانية نقلت أجروميتها عن اللغة اليونانية نقلاً، استطاعت لغة الضاد أن تشيد بناءً فخماً من الإعراب يضع أمام الأبصار مشهداً فلسفياً ذا أصالة وابتكار... وقد بلغت من حيث دقّة التعبير عن علاقات الإعراب والنحو ذروة التطور في اللغات السامية، ومعجم العربية اللغوي لا يجاريه معجم في ثرائه.«

ويشهد (سينجلر) : "أن اللغة العربية قامت بدور أساسي كوسيلة لنشر المعارف، وآلة للتفكير في خلال المرحلة التاريخية التي بدأت حين احتكر العرب - على حساب الرومان واليونان - طريق

الهند."

ويعترف) فريتاغ) : «أن اللغة العربية ليست أغنى لغات العالم فحسب بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ.«

ويغار (ريتشارد كريتفيل) على اللغة العربية قائلاً :"إنه لا يعقل أن تحل اللغة الفرنسية، أو الانجليزية محل اللغة العربية. وإن شعباً له آداب غنية، منوعة، كالآداب العربية، ولغة مرنة، ذات مادة لا تكاد تفنى، لا يخون ماضيه، ولا ينبذ إرثاً ورثه، بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده."

ويلاحظ (ماجليوت): "إن اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية، وإنها إحدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمور استيلاءً لم يحصل عليه غيرها) الانجليزية والاسبانية) وهي تخالف أختيها بأن زمان حدوثهما معروف ولا يزيد سنهما على قرون معدودة، أما اللغة العربية فابتداؤها أقدم من كل تاريخ."
ويلاحظ الأستاذ (كيفورمينجيان) من موسكو هو الآخر : "أن اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي ولكن بطء التعريب عرقله."

ويقول (وليم رولد) : "إن اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى أمام لغة من اللغات التي احتكّت بها. وذلك أن لها ليناً ومرونة يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر."
ويهيب (فولفونسن) في كتابه "تاريخ اللغات السامية" بالمشارقة : "المتكلمين بلغة الضاد، إلى درس فقه اللغات السامية، للاقتناع بعظمة أجدادهم، وبالدور الذي قاموا به في حضارة العالم القديم . ثم أكّد أن المستشرقين الذين نددوا بالعروبة، وبالإشعاع العربي، لم يهدفوا إلا لغايات دينية، واستعمارية."

وعبر الأستاذ (ماسنيون) عن نفس الفكرة قائلاً: "إن المنهاج العلمي قد انطلق، أول ما انطلق، باللغة العربية، ومن خلال العربية في الحضارة الأوربية... إن العربية استطاعت بقيمتها الجدلية، والنفسية، والصوفية، أن تضفي سربال الفتوة على التفكير الغربي. ثم يواصل ماسينيون وصفه الرائع قائلاً : "إن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإن استمرار حياة اللغة العربية دولياً لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم في المستقبل."

وأخيراً كتب (جول فيرن) قصة خيالية، بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية "Le voyage au centre de la terre"حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها. ولما أرادوا العودة إلى ظاهر الأرض، بدا لهم أن يتركوا هناك أثراً يدلّ على مبلغ رحلتهم، فنقشوا على الصخرة، كتابة باللغة العربية. ولما سئل (جول فيرن) عن وجه اختيار اللغة العربية قال: "إنها لغة المستقبل ."

هذه بعض شهادات رجالات الغرب، من مفكرين، ولغويين، وعلماء أفذاذ، نجد فيها من الإطراء للغة الضاد، والإطناب في الإشادة بعبقريتها، وخصائصها، وكمالها، ما لا نجده في أقوال أبنائها . فليس في هؤلاء - مثلاً - من تجرأ، كما تجرأ (جول فيرن)، على القول بأن اللغة العربية لغة المستقبل، معنى هذا أنها ستحل محل الانجليزية في عالميتها، بل ليس فيهم من قال حتى ما قاله (ماسينيون) من « أن استمرار حياة اللغة العربية - دوليا - لهو العنصر الجوهري للسلام بين

الأمم.«

الآن وقد اطلعنا على نتائج الفحص الذي أجراه على اللغة العربية أخصائيون عرب، وأعاجم، بقي علينا أن نتأكد من صحة هذه النتائج بأنفسنا فنقوم، نحن كذلك، بفحص مباشر، فنكشف عن شيء من بنية اللغة العربية، ونستجلي بعض بواطنها، ودواخلها، ونعاين بأنفسنا تراكيب عناصرها، ونتعرف بقدر الإمكان على خصائصها وقدرتها على الاضطلاع بمهمة استيعاب وتبليغ جميع المعارف البشرية...

*** * * ***

المصدر/ مجلة اللسان العربي

تحيّاتي إلى كل عقل نيّر

كرم

اللغة العربية ومكانتها بين اللغات (2/1)

د .فرحان السليم

اللغة فكر ناطق، والتفكير لغة صامتة، واللغة هي معجزة الفكر الكبرى .
إن للغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة؛ فإنها الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم. إن القوالب اللغوية التي توضع فيها الأفكار، والصور الكلامية التي تُصاغ فيها المشاعر والعواطف لا تنفصل مطلقاً عن مضمونها الفكري والعاطفي.
إن اللغة هي الترسانة الثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها. وقد قال فيلسوف الألمان فيخته: "اللغة تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراصاً خاضعاً لقوانين. إنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان."
ويقول الراهب الفرنسي غريغوار: " إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبيرة، وأما ترك هؤلاء خارج ميادين الحكم والإدارة فيخالف مبدأ المساواة، فيترتب على الثورة - والحالة هذه - أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية؛ وذلك بمحاربة اللهجات المحلية، ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين."
ويقول فوسلر: "إن اللغة القومية وطن روحي يؤوي من حُرِمَ وطنَه على الأرض."
ويقول مصطفى صادق الرافعي: "إن اللغة مظهر من مظاهر التاريخ، والتاريخ صفة الأمة. كيفما قلّبت أمر اللغة - من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها - وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها."
وقد صدر بيان من مجلس الثورة الفرنسية يقول: "أيها المواطنون، ليدفع كلاً منكم تسابقٌ مقدسٌ للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا؛ لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهود الإقطاع

والاستعباد ."

أهمية اللغة العربية:

اللغة - عند العرب - معجزة الله الكبرى في كتابه المجيد.
لقد حمل العرب الإسلام إلى العالم، وحملوا معه لغة القرآن العربية واستعربت شعوب غرب آسيا وشمال إفريقية بالإسلام؛ فتركت لغاتها الأولى وآثرت لغة القرآن، أي أن حبهم للإسلام هو الذي عرّبهم، فهجروا ديناً إلى دين، وتركوا لغة إلى أخرى.
لقد شارك الأعاجم الذين دخلوا الإسلام في عبء شرح قواعد العربية وآدابها للآخرين فكانوا علماء النحو والصرف والبلاغة بفنونها الثلاثة : المعاني، والبيان، والبديع.
وقد غبر دهر طويل كانت اللغة العربية هي اللغة الحضارية الأولى في العالم.
واللغة العربية أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال، مع الاستطاعة في التعبير عن مدارك العلم المختلفة. ونظراً لتمام القاموس العربي وكمال الصرف والنحو فإنها تعد أمّ مجموعة من اللغات تعرف باللغات الأعرابية أي التي نشأت في شبه جزيرة العرب، أو العربيات من حميرية وبابلية وآرامية وعبرية وحبشية، أو الساميات في الاصطلاح الغربي وهو مصطلح عنصري يعود إلى أبناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث .فكيف ينشأ ثلاثة أخوة في بيت واحد ويتكلمون ثلاث لغات؟
إن اللغة العربية أداة التعارف بين ملايين البشر المنتشرين في آفاق الأرض، وهي ثابتة في أصولها وجذورها، متجددة بفضل ميزاتها وخصائصها.
إن الأمة العربية أمة بيان، والعمل فيها مقترن بالتعبير والقول، فللغة في حياتها شأن كبير وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم. إن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون، وعن طريقها وبوساطتها اتصلت الأجيال العربية جيلاً بعد جيل في عصور طويلة، وهي التي حملت الإسلام وما انبثق عنه من حضارات وثقافات، وبها توحد العرب قديماً، وبها يتوحدون اليوم ويؤلفون في هذا العالم رقعة من الأرض تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها وعواطفها في لغة واحدة على تنائي الديار واختلاف الأقطار وتعدّد الدول .واللغة العربية هي أداة الاتصال ونقطة الالتقاء بين العرب وشعوب كثيرة في هذه الأرض أخذت عن العرب جزءاً كبيراً من ثقافتهم واشتركت معهم - قبل أن تكون (الأونيسكو (والمؤسسات الدولية - في الكثير من مفاهيمهم وأفكارهم ومثلهم، وجعلت الكتاب العربي المبين ركناً أساسياً من ثقافتها، وعنصراً جوهرياً في تربيتها الفكرية والخلقية.
إن الجانب اللغوي جانب أساسي من جوانب حياتنا، واللغة مقوم من أهم مقومات حياتنا وكياننا، وهي الحاملة لثقافتنا ورسالتنا والرابط الموحد بيننا والمكون لبنية تفكيرنا، والصلة بين أجيالنا، والصلة كذلك بيننا وبين كثير من الأمم.
إن اللغة من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، وهي الأداة التي سجلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا. وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل. إنها تمثل خصائص الأمة، وقد كانت عبر التاريخ مسايرة لشخصية الأمة العربية، تقوى إذا قويت، وتضعف إذا ضعفت.
لقد غدت العربية لغة تحمل رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى، كان العرب نواتها الأساسية والموجهين لسفينتها، اعتبروها جميعاً لغة حضارتهم وثقافتهم فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسياسة والتجارة والعمل والتشريع والفلسفة والمنطق والتصوف والأدب والفن.
واللغة من الأمة أساس وحدتها، ومرآة حضارتها، ولغة قرآنها الذي تبوأ الذروة فكان مظهر

إعجاز لغتها القومية.

إن القرآن بالنسبة إلى العرب جميعاً كتاب لبست فيه لغتهم ثوب الإعجاز، وهو كتاب يشد إلى لغتهم مئات الملايين من أجناس وأقوام يقدسون لغة العرب، ويفخرون بأن يكون لهم منها نصيب.

وأورد هنا بعض الأقوال لبعض العلماء الأجانب قبل العرب في أهمية اللغة العربية . يقول الفرنسي إرنست رينان : " اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ."

ويقول الألماني فريتاغ: " اللغة العربية أغنى لغات العالم."

ويقول وليم ورك: " إن للعربية ليناً ومرونةً يمكّنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر."

ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام: " العربية لغة كاملة محببة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلّى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة ."

ويقول مصطفى صادق الرافعي: " إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به، متميزين بهذه الجنسية حقيقةً أو حكماً."

ويقول الدكتور طه حسين : "إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً."

خصائص اللغة العربية

للعربية خصائص كثيرة يضيق المجال عن حصرها في هذه المحاضرة، لذا سأقتصر على بعضها تاركاً، لمن أراد التوسع، الرجوع إلى أمهات الكتب في هذا المجال.

– 1الخصائص الصوتية:

إن اللغة العربية تملك أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، حيث تتوزع مخارج الحروف بين الشفتين إلى أقصى الحلق. وقد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفاً أكثر عدداً ولكن مخارجها محصورة في نطاق أضيق ومدرج أقصر، كأن تكون مجتمعة متكاثرة في الشفتين وما والاهما من الفم أو الخيشوم في اللغات الكثيرة الغنة) الفرنسية مثلاً)، أو تجدها متزاحمة من جهة الحلق. وتتوزع هذه المخارج في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات. ويراعي العرب في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزعها وترتيبها فيها حدوث الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي. فمثلاً: لا تجتمع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال. ولا تجتمع الجيم مع القاف والظاء والطاء والغين والصاد، ولا الحاء مع الهاء، ولا الهاء قبل العين، ولا الخاء قبل الهاء ، ولا النون قبل الراء ، ولا اللام قبل الشين.

وأصوات العربية ثابتة على مدى العصور والأجيال منذ أربعة عشر قرناً. ولم يُعرف مثل هذا الثبات في لغة من لغات العالم في مثل هذا اليقين والجزم. إن التشويه الذي طرأ على لفظ الحروف العربية في اللهجات العامية قليل محدود، وهذه التغيرات مفرقة في البلاد العربية لا تجتمع كلها في بلد واحد. وهذا الثبات، على عكس اللغات الأجنبية، يعود إلى أمرين : القرآن، ونزعة المحافظة عند العرب.

وللأصوات في اللغة العربية وظيفة بيانية وقيمة تعبيرية، فالغين تفيد معنى الاستتار والغَيْبة والخفاء كما نلاحظ في : غاب ، غار ، غاص ، غال ، غام. والجيم تفيد معنى الجمع : جمع ، جمل، جمد ، جمر. وهكذا .

وليست هذه الوظيفة إلا في اللغة العربية، فاللغات اللاتينية مثلاً ليس بين أنواع حروفها مثل هذه الفروق، فلو أن كلمتين اشتركتا في جميع الحروف لما كان ذلك دليلاً على أي اشتراك في المعنى. فعندنا الكلمات التالية في الفرنسية مشتركة في أغلب حروفها وأصواتها ولكن ليس بينها أي

اشتراك في المعنى lvre سكران oeuvre أثر أو تأليف ouvre يفتح livre كتاب lèvre شفة.

– 2الاشتـقـاق:

الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسر وقبائل. وللكلمة جسم وروح، ولها نسب تلتقي مع مثيلاتها في مادتها ومعناها : كتب - كاتب - مكتوب - كتابة - كتاب.. فتشترك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها. وتشترك الألفاظ المنتسبة إلى أصل واحد في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام. أما اللغات الأخرى كالأوروبية مثلاً فتغلب عليها الفردية . فمادة (ب ن و) في العربية يقابلها في الإنكليزية son : ابن و daughter بنت. أما في الفرنسية فتأتي مادة (ك ت ب) على الشكل التالي : كتاب livre مكتبة عامة bibliothèque محل بيع الكتب librairie يكتب ècrire مكتب. bureau

وثبات أصول الألفاظ ومحافظتها على روابطها الاشتقاقية يقابل استمرار الشخصية العربية خلال العصور، فالحفاظ على الأصل واتصال الشخصية واستمرارها صفة يتصف بها العرب كما تتصف بها لغتهم، إذ تمكن الخاصة الاشتقاقية من تمييز الدخيل الغريب من الأصيل.

إن اشتراك الألفاظ المنتمية إلى أصل واحد في أصل المعنى وفي قدر عام منه يسري في جميع مشتقات الأصل الواحد مهما اختلف العصر أو البيئة، يقابله توارث العرب لمكارم الأخلاق والمثل الخلقية والقيم المعنوية جيلاً بعد جيل. إن وسيلة الارتباط بين أجيال العرب هي الحروف الثابتة والمعنى العام.

والروابط الاشتقاقية نوع من التصنيف للمعاني في كلياتها وعمومياتها، وهي تعلم المنطق وتربط أسماء الأشياء المرتبطة في أصلها وطبيعتها برباط واحد، وهذا يحفظ جهد المتعلم ويوفر وقته.

إن خاصة الروابط الاشتقاقية في اللغة العربية تهدينا إلى معرفة كثير من مفاهيم العرب ونظراتهم إلى الوجود وعاداتهم القديمة، وتوحي بفكرة الجماعة وتعاونها وتضامنها في النفوس عن طريق اللغة.

– 3خصائص الكلمة العربية (الشكل والهيئة أو البناء والصيغة أو الوزن):(

إن صيغ الكلمات في العربية هي اتحاد قوالب للمعاني تُصبُّ فيها الألفاظ فتختلف في الوظيفة التي تؤديها. فالناظر والمنظور والمنظر تختلف في مدلولها مع اتفاقها في أصل المفهوم العام الذي هو النظر. الكلمة الأولى فيها معنى الفاعلية والثانية المفعولية والثالثة المكانية.

وللأبنية والقوالب وظيفة فكرية منطقية عقلية. لقد اتخذ العرب في لغتهم للمعاني العامة أو المقولات المنطقية قوالب أو أبنية خاصة: الفاعلية - المفعولية - المكان - الزمان - السببية - الحرفة - الأصوات - المشاركة - الآلة - التفضيل - الحدث.

إن الأبنية في العربية تعلم تصنيف المعاني وربط المتشابه منها برباط واحد، ويتعلم أبناء العربية المنطق والتفكير المنطقي مع لغتهم بطريقة ضمنية طبيعية فطرية.

وللأبنية وظيفة فنية، فقوالب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزان موسيقية، أي أن كل قالب من هذه القوالب وكل بناء من هذه الأبنية ذو نغمة موسيقية ثابتة. فالقالب الدال على الفاعلية من الأفعال الثلاثية مثلاً هو دوماً على وزن فاعل والدال على المفعولية من هذه الأفعال على وزن مفعول.

وإن بين أوزان الألفاظ في العربية ودلالاتها تناسباً وتوافقاً، فصيغة (فعّال) لمبالغة اسم الفاعل تدل بما فيها من تشديد الحرف الثاني على الشدة أو الكثرة، وبألف المد التي فيها على الامتداد

والفاعلية الخارجية .
وتتميز اللغة العربية بالموسيقية فجميع ألفاظها ترجع إلى نماذج من الأوزان الموسيقية، والكلام العربي نثراً كان أم شعراً هو مجموع من الأوزان ولا يخرج عن أن يكون تركيباً معيناً لنماذج موسيقية.
وقد استثمر الشعراء والكتاب العرب هذه الخاصة الموسيقية فقابلوا بين نغمة الكلام وموضوعه مقابلة لها أثر من الوجهة الفنية. فمثلاً يقول النابغة الذبياني:

ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها
نعم ونسألها عن بعض أهليها

حيث ينقلك إلى جو عاشق يهيم ويتأمل وتهفو نفسه برقة وحنان إلى آثار الحبيب بما في البيت من نعومة الحروف وكثرة المدود وحسن توزعها وجمال تركيب الألفاظ.
ويقول البحتري متحدثاً عن الذئب:

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

فينقل تتابع حركات الذئب السريع في ألفاظ قصيرة الأوزان متوالية الحركات.
وقد بلغت هذه الخاصة الموسيقية ذروتها في التركيب القرآني، فأنت تحس، مثلاً في سورة العاديات ، عدو الخيل : (والعاديات ضبحاً. فالموريات قدحاً .فالمغيرات صبحاً. فأثرن به نقعاً. فوسطن به جمعاً.(
وكان لأوزان الألفاظ أثر في جمال الكتابة العربية، فالكلمات التي على وزن واحد تتشابه ألفاظها الكتابية مثل الكلمات على وزن فاعل أو على وزن مفعول. إن هذه الكلمات في التركيب يكون منها ما يشبه الزخارف العربية.
وتتأرجح الصيغ بين الثبات والتطور، والثبات غالب ولا يسبب هذا جمود العربية، فإن لها على حالتها الحاضرة من الصيغ والأبنية غنى لا تضارعها فيه لغة أخرى من اللغات الراقية التي تفي بحاجات الإنسان في مثل هذا العصر.
إن الإخلال بهذه الأبنية وإفسادها إفساد لنظام اللغة، فلذلك كان العرب إذا أدخلوا كلمة أعجمية احتاجوا إليها صاغوها على نماذج ألفاظهم وبنوها على أحد أبنيتهم وجعلوها على أحد أوزانهم.
وبين العربية والطبيعة صلة وثقى، فالأجسام في الطبيعة على كثرتها ترجع إلى عناصر بسيطة محدودة العدد تتشابه وتختلف بحسب تشابه تركيب مادتها واختلافه. وكذلك اللغة العربية ترجع كلماتها التي لا تكاد تُحصى إلى عناصر محدودة ثابتة هي الحروف. وفي الطبيعة تشابه ونمطية وتكرر، فللشجرة مهما كان نوعها أوراق وأغصان جذع وثمر. وفي اللغة أيضاً تشابه بين أبنية الفاعلين والمفعولين والمكان والزمان. ولكل فرد من أفراد الجنس الواحد في الطبيعة ذاتيته مع مشابهته لسائر أفراد الجنس. وكذلك للفظ ذاتيته مع مشابهته لسائر الألفاظ المشتركة معه في الأصل أو البناء والصيغة. وفي الطبيعة تسلسل وتوارث يقابله تسلسل وتوارث في اللغة. وفي الطبيعة محافظة وتجديد، وكذلك في اللغة محافظة وتجديد أيضاً.

التحديات أمام اللغة العربية
سأل طالب في بيروت أستاذه عن المعنى العربي لمصطلح أجنبي فقال لـه الأستاذ: وهل العربية

لغة؟!
لقد اتخذت محاولات الطعن في العربية أشكالاً ومظاهر شتى فهي تلبس تارة ثوب الطعن في الأدب القديم وصحته وتظهر تارة بمظهر تشجيع اللهجات المحلية لتفتيت اللغة الواحدة وتمزيق الناطقين بها وتارة تلبس ثوب الثورة على القديم والدعوة إلى التجديد. فمن منادٍ بالتمرّد على الأسلوب العربي القديم وهو لا يتمرّد في حقيقته على قِدَم الأسلوب وإنما يتمرّد على صحة اللغة وسلامتها ومن قائل بضيق العربية وقصر باعها عن مواكبة الحضارة ومن مصرح بهجر الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني ومن داع إلى تغيير القواعد.. ومن داعٍ للاعتراف بالعلمية وما فيها من أدب وفن .! ويلبس كل ذلك ثوبَ الإصلاح اللغوي.
وبلغ الأمر بأحدهم أنه لا يرى سبباً لهزيمة العرب إلا لغتهم الفصحى أو يراها من أسباب هزيمتهم . وثان نظر إلى تخلف العرب العلمي في عصر الذرة، فأعلن أنه لا يرى لهذا سبباً غير تمسك العرب بلغتهم في مراحل التعليم عامة والتعليم العالي منها خاصة. وثالث لم يجد داء عند العرب أخطر من بقاء الحروف العربية في أيدي أصحابها فدعا إلى نبذها وإحلال الحروف اللاتينية محلها. ودعا آخرون إلى اللهجات المحلية وتشجيع دراسة تلك اللهجات باسم البحث العلمي في علم اللغة وفقهها كما دعوا إلى العامية ودراستها. وما هذا إلا دعوةٌ مفرقة ممزقة بطريقة علمية في عصر تبحث فيه الأمة عن وحدتها وترفع فيه شعار قوميتها. ولقد تأسى كثير من أصحاب هذه الدعوات بما فعله مصطفى كمال أتاتورك في تركيا حين نبذ الحروف العربية وكتب اللغة التركية بالحروف اللاتينية فقطع بذلك كل صلة للشعب التركي بمحيطه الشرقي والعربي والإسلامي ظناً منه أن ذلك يجعل تركيا في صدارة العالم المتقدم.
ويقول الإنكليزي (ويلكوكس): " إن العامل الأكبر في فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدامهم اللغة العربية الفصحى في القراءة والكتابة". ولا يزال أحد الشوارع في حي (الزمالك) بالقاهرة يحمل اسمه.
ودفعت هذه الاتهامات أحد المفكرين إلى أن يصرخ من المرارة: " من حق إسرائيل أن تحيي العبرية الميْتة ومن واجبنا أن نميت العربية الحية". ويقول الدكتور عمر فروخ في هذا المعنى: "أعجب من الذين يدرسون اللغات الميْتة ثم يريدون أن يميتوا لغة حية كالعربية ."
إن من يراجع الوثائق التي بدأت بها عملية الاحتلال البريطاني لمصر يكتشف أن أول أعمال الاحتلال هو وضع الخطة لحطم اللغة، يبدو ذلك واضحاً في تقرير لورد دوفرين عام 1882م حين قال : "إن أمل التقدم ضعيف (في مصر) ما دامت العامة تتعلم اللغة العربية الفصيحة."
وقد توالت هذه الحرب ليس في مصر وحدها بل في الشام والمغرب بأقطاره كلها في محاولات قدمها (كرومر) و(بلنت) من ناحية و(لويس ماسينيون) و(كولان) في المغرب. ثم تقدم رجال يحملون أسماء عربية للعمل بعد أن مهد لهم الطريق (ويلكوكس) والقاضي (ديلمور)، وحيل بين اللغة العربية وبين أحكام المحاكم المختلطة والأجنبية.
وكان التعليم في البلاد العربية المحتلة يتم كله باللغات الأجنبية (الإنجليزية في مصر والسودان والعراق) والفرنسية في (سورية وتونس والجزائر والمغرب)، فقد كانت لحظة النفوذ الأجنبي ترمي إلى:
أولاً : تحويل أبجدية اللغات الإقليمية إلى اللاتينية وكانت تكتب أساساً بالحروف العربية ، كما حدث في إندونيسيا وبعض بلاد إفريقيا وآسيا.
ثانياً : تقديم اللغات الأجنبية في الأقطار الإسلامية على اللغة العربية.
ثالثاً : تقديم اللهجات واللغات المحلية وتشجيعها والدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية.
رابعاً : ابتعاث الطلاب إلى الغرب لدراسة لغاته، وكان ذلك إيماناً بأن اللغة هي الوجه الثاني للفكر، وأن من يجيد لغة لا بد أن يعجب بتاريخها وفكرها ويصير له انتماء من نوع ما إلى هذه الأمة.

وكانت الحملة على اللغة العربية الفصحى من خلال حجج ضعيفة واهية منها :صعوبة اللغة، ومنها التفاوت بينها وبين العامية.
وكان فرض اللغات الأجنبية في مختلف أقطار الأمة الإسلامية عاملاً هاماً في فرض ثقافاتها ووجهة نظر أهلها وفي الوقوف موقف الإعجاب بالغاصب والعجز عن مواجهته. ومن يدرس تجارب التعليم الغربي في البلاد العربية يجد الولاء الواضح للنفوذ الغربي.
وفي البلاد الإسلامية غير العربية فعل الأجنبي فعله في إفريقيا وآسيا خاصة ففي إفريقيا عمد الإنجليز في نيجيريا إلى نقل حروف اللغات المحلية من العربية إلى الحروف اللاتينية فضلاً عن عملية القضاء على كتب التراث الإسلامي التي تعرضت للحريق للقضاء على كل أثر علمي عربي بعد قطع التيار الحضاري العربي القادم من شمال إفريقيا ومصر.
وفي غرب إفريقيا عمد الاستعمار الفرنسي إلى القضاء على العربية بعد معركة مع اللغة العربية في الجزائر خلال مائة عام كاملة.
وقد جاء هذا كله بعد أن بلغت اللغة العربية كل وصف حتى أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة كما أشار إلى ذلك (توماس أرنولد (في كتابه (الدعوة إلى الإسلام)، وبعد أن كانت بعوث إفريقيا ترسل إلى مكة المكرمة والأزهر أصبحت ترسل إلى الغرب.
وبعد أن كانت اللغة العربية قد شاركت بحروفها وألفاظها في كل اللغات الأساسية في إفريقية وهي الهوسا والماندنجو والوولوف والسواحلية والصومالية ولغات النيجر والدناكل في إثيوبيا وإرتيريا، عمد النفوذ الأجنبي إلى إيقاف كل ذلك وإحياء الثقافات الإفريقية القديمة وصبغها بصبغة إقليمية تساعد على إثارة التعصب وإقامة القوميات المحدودة المحلية في نطاق قبلي ليستغلوا هذه الروح في إقامة سد مرتفع في وجه انتشار اللغة العربية مع نشر الثقافة الإنجليزية والفرنسية من خلال اللغتين ليتحقق الاستعمار الثقافي الكامل.
وهكذا أصبحت اللغتان الإنجليزية والفرنسية - كل في منطقة سيطرتها - لغة أساسية في مراحل التعليم المختلفة، وغلبت اللهجات القومية ولغة المستعمر ليس على مناهج التعليم فحسب بل على أعمال المصارف والمحاكم والدواوين.
أما في آسيا فقد استطاعت اللغات الأجنبية في جنوب شرق آسيا (الملايو - إندونيسيا - تايلاند) السيطرة ، وتراجعت اللغة العربية ثم تراجعت الحروف العربية أيضاً في تركيا وإندونيسيا.
وفي إندونيسيا وأرخبيل الملايو نجد الصورة قاتمة، فقد تعرضت إندونيسيا بعد الاستقلال للتحديات في مجال اللغة فكتبت اللغة الأندونيسية بالخط الروماني (اللاتيني) بدلاً من الخط العربي المحلي، وأصبحت العربية لغة أجنبية لا يقرؤون ولا يكتبون بها، وأصبح العدد الأكبر قادراً على أن يقرأ اللغات الغربية وخاصة الإنجليزية.

وإذا أردنا حصر التحديات التي واجهتها اللغة العربية فإننا نلخصها بالتالي:
-استبدال العامية بالفصحى.
-تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية.
-الهجوم على الحروف العربية والدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية.
-إسقاط الإعراب في الكتابة والنطق.
-الدعوة إلى إغراق العربية بسيل من الألفاظ الأجنبية.
-محاولة تطبيق مناهج اللغات الأوروبية على اللغة العربية ودراسة اللهجات العامية.

المـواجـــهـــة:
وقبل الدخول في المواجهة علينا أن نشخص الأمراض التي نعاني منها على المستوى اللغوي

فالتشخيص نصف العلاج.
إن التردي في عصور الانحطاط كان عاملاً من عوامل ضعفنا اللغوي، وهذا التردي لم يكن مقصوراً على العامة من الناس بل شمل العلماء والفقهاء حتى كان يعجز الكثير منهم عن كتابة رسالة خالية من العجمة، بريئة من الركاكة أو العامية، سليمة من الخطأ. وكانت دروس الفقه والدين بل دروس النحو والبلاغة تلقى بلغة مشوبة بالعامية منحطة عن الفصحى. أما أساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنه كل البعد، وكل ما تصبو إليه النفوس وترتفع إليه المطامح أن يقلد الكاتب أسلوب الحريري في مقاماته أو القاضي الفاضل في رسائله ومكاتباته.
لقد اختفت الفروق اللغوية وأصبحت الألفاظ المتقاربة مترادفة. ولم يبق الترادف مزية من مزايا العربية بل مرضاً من أمراضها الوافدة المنتشرة، وغلب على الناس استعمال الألفاظ في معانيها العامة فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التي عُرفت بها العربية في عصورها السالفة، وأدى ذلك إلى تداخل معاني الألفاظ حين فَقَدت الدقة واتصفت بالعموم، وفقد الفكر العربي الوضوح حين فقدته اللغة نفسها، واتصفت بالغموض، وانفصلت الألفاظ عن معانيها في الحياة وأصبحت عالماً مستقلاً يعيش الناس في جوه بدلاً من أن يعيشوا في الحياة ومعانيها.
إن الموقف يلقي أمامنا مشكلة النهوض باللغة العربية وقدرتها على الوفاء بحاجات أهلها في هذه الحياة الجديدة سواء في ميدان العلوم أو الفن أو الأدب بأغراضه وآفاقه الحديثة، أو في ميدان الحياة العملية بما فيها من مستحدثات لا ينقطع سيلها. كما يدفعنا باتجاه التحرّر من آثار عصور الانحطاط من جهة ومن التقليد الأجنبي والعجمة الجديدة التي أورثنا إياها عصر الاستعمار والنفوذ الأجنبي من جهة أخرى.
إن المطلوب تكوين وعي لغوي صحيح يساير وعينا السياسي والفكري بل هو الأساس لتكوين تفكيرنا تكويناً صحيحاً، والأخذ بأيدينا نحو الوحدة اللغوية والتحرر اللغوي والقضاء على التجزئة والشعوبية أو النفوذ الأجنبي في ميدان اللغة والفكر.
إن التعليم الجامعي العلمي خاصة في كثير من أقطار العروبة ما زال باللغات الأجنبية : فهو إنكليزي في أقطار، فرنسي في أقطار، روسي في أقطار، ولا توجد صيدلة عربية ولا طب عربي.
وما زال هناك -إلى الآن- من يجادل لإبقاء تدريس العلوم باللغات الأجنبية .لقد انقسم العرب إبان عهد الاستعمار إلى مجموعتين : الأولى هي الدول التي حافظت على اللغة العربية طوال فترات الاحتلال، ولكن العجب أن تتصاعد فيها آراء تشكك في صلاحية اللغة العربية لاحتواء العلوم الحديثة، والثانية هي مجموعة الدول التي استطاع المستعمر فرض لغته عليها، وهي على العكس بذلت جهوداً مضنية لاستعادة مكانة اللغة العربية. ومنذ سنوات ظهرت حلقة من برنامج الاتجاه المعاكس في محطة الجزيرة القطرية الفضائية كان موضوعها عن صلاحية اللغة العربية في تدريس العلوم، وكان النقاش بين أستاذين جامعيين عربيين: الأول يدعو إلى تدريس العلوم باللغة الإنكليزية وهو سوري، والثاني يدعو إلى تعريب التعليم وهو جزائري.
إن كثيراً من دعاة العروبة لا يحسنون لغتهم. وهذا ما دفع أحد المفكرين إلى القول بأن هناك إهانة توجه إلى العربية؛ تتجلى هذه الإهانة في ثلاثة أمور:
– 1السيل من الأفلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات والأغاني باللغة العامية.
– 2بعض الزعماء يخلط العربية بالعامية، وهم مولعون بخفض المرفوع وجر المنصوب .
– 3تقليد المنتصر.
وإذا نظرنا إلى ما يفعل أصحاب اللغات الأخرى لخدمة لغاتهم لوجدنا أنفسنا مقصرين كثيراً . فالإنكليز مثلاً يفعلون العجب في تعميم لغتهم، ويبتكرون الحيل الطريفة لتحبيبها إلى النفوس حتى أصبحت الإنكليزية لغة العالم، ولغة العلم معاً.
وقد حفظ لنا تاريخنا جهود رواد بذلوا ما بوسعهم لخدمة هذه اللغة. فمثلاً لما تولى سعد زغلول

وزارة المعارف في مصر كان التعليم في المراحل الأولى باللغة الإنكليزية؛ كان كتاب الحساب المقرر على الصف الابتدائي تأليف (مستر تويدي) وكذلك سائر العلوم، فألغى سعد هذا كله، وأمر أن تُدرس المقررات كلها باللغة العربية، وأن تُوضع مؤلفات جديدة باللغة القومية. وبذلك المسلك الناضج حفظ على مصر عروبتها. وهذا الصنيع دفع أحد المفكرين المصريين إلى القول: (إن سعداً أحسن إلى جيلنا كله بجعلنا عرباً) فكم سعداً نحتاج إليه؟
ويسرني أن أختم بأبيات من قصيدة للدكتور عبد المعطي الدالاتي من وحي هذه المقالة:

http://www.d-sunnah.net/forum/showthread.php?s=9911efd7b13ddbf85d561af202a8cbfb&p=297107&page=2